الباب السابع

فيما يضاف وينسب الى القبائل

ائلاف قريش، تيه بنى مخزوم، جود طيئ ، لؤم باهلة، رماة بني ثعل ، قيافة بني مدلج، عيافة بني لهب، خطباء اياد، ثريدة غسان، مهو ركندة، حرة بني سليم

الاستشهاد

ائلاف قريش — كانت قريش لاتناجر الامع من ورد عليها مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ في الاشهر الحرم لاتبرح دارها ولاتجاوزحرمها للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والالف لبيتهم ولقيامهم لجميع من دخل مكة بمايصلحهم وكانوا بواد غير ذي زرع كما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام حين قال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم — فكان أول من خرج الى الشام ووفد الى الملوك وأبعد في السفر ومرّ بالاعداء وأخذ منهم الائلاف الذي ذكره الله الى هاشم بن عبد مناف، وكانت له رحلتان رحلة في الشتاء نحو العياهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم من ملوك الحبشة ، ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم ، وكان يأخذ الائلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين، احداهما ان ذؤبان العرب وصعاليك الاعراب وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانوا لايؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ، والخصلة الاخرى ان أناسا من العرب كانوا لايرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً كبني طيئ وخثعم وقضاعة ، وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له، ومعنى الائلاف انما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الربح ويحمل لهم متاعا مع متاعه ويسوق اليهم ابلا مع ابله ليكفيهم مؤونة الاسفار ويكفي قريشاً مؤونة

Digitized by Google

الاعداء، فكان ذلك صلاحا للفريقين اذ كان المقيم رابحاً والمسافر محفوظا، فاخصبت قريش وأتاها خير الشام واليمن والحبشة وحسنت حالها وطاب عيشها، ولما مات هاشم قام بذلك المطلب فلما مات المطلب قام بذلك عبد شمس فلما مات عبد شمس قام به نوفل وكان أصغرهم. وقول الله تعالى — أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف — يعني الضيق الذي كان فيه أهل مكة قبل ان يأخذ هاشم لهم الايلاف والخوف الذي كانوا عليه ممن يمر بهم من القبائل والاعداء وهم مقترون ومعهم الاموال، وهو قوله عز ذكره — تخافون ان يتخطفكم الناس — يعني في تلك الاسفار ولم يرد ذلك وهم مقيمون في حرمهم وأمنهم، لان الله تعالى يقول — واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً — مع قوله — ومن دخله كان آمناً — وقوله — انا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم — وقد عم مطرود الخزاعي بني عبد مناف بذكر الايلاف لان جميعهم قد فعل ذلك، فقال

يا أيها الرجل المحوّل رحله ... هلا حللت بآل عبد مناف
الآخذين العهد في ايلافهم ... والراحلين برحلة الايلاف

وفي اختصاص قريش بالايلاف دون غيرهم من العرب قال الشاعر — وهو يرد على بني أسد مايدعونه من قرابة قريش

زعمتم ان اخوتكم قريش ... لهم الف وليس لكم الاف
أولئك أومنوا خوفا وجوعاً ... وقد جاعت بنو أسد وخافوا

تيه بني مخزوم — قال الجاحظ اما بنو مخزوم وبنو أمية وبنو جعفر بن كلاب واختصاصهم بالتيه والكبر، فانهم أبطرهم ماوجدوه لانفسهم من الفضيلة، ولو كان في قوى عقولهم فضل على قوى دواعي الحمية فيهم لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وفي انصافهم لمن دونهم — ولما بلغ الحسن بن علي رضي الله عنهما قول معاوية: اذا

obeikandl.com

Digitized by Google

لم يكن الهاشمي جوادا والاموي حليما والعوامي شجاعا والمخزومي تياها لم يشبهوا آباءهم، قال: انه والله ما أراد بها النصيحة ولكن أراد ان يغري بنو هاشم ما بأيديهم فيحتاجوا اليه، وان يحلم بنو أمية فيجبهم الناس، وان يشجع بنو العوام فيقتلوا، وان يتيه بنو مخزوم فيمقتوا، وكان يقال: أربعة كانوا ومحال ان يكونوا زبيري سخي ومخزومي متواضع وهاشمي شجيح وقريشي محب آل محمد صلى الله عليه وسلم

جود طيئ — يضرب به المثل لكون حاتم وأوس بن حارثة بن لام منهم وهما آية في الجود والكرم، وقال أبو تمام الطائي

لكل من بني حواء عذر ولا عذر لطائي لئيم

ويروى ان أوسا وحاتما وفدا على عمرو بن هند فدعا أوسا وقال له: أنت أفضل أم حاتم؟ فقال أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة، ثم دعا حاتما فقال: أنت أفضل أم أوس؟ فقال أبيت اللعن انما ذكرت بأوس ولا حد ولده أفضل مني، فقال عمرو والله ما أدري أيكما أفضل وما منكما الا سيد كريم، ومن محاسن أوس ان النعمان بن المنذر دعا بحلة نفيسة وعنده وفود العرب من كل حيّ وفيهم أوس، فقال لهم: احضروا غدا فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم، فحضر القوم الا أوسا، فقيل له لم تخلف؟ فقال ان كان المراد غيري فاجمل الاشياء بي ان لا أكون حاضرا، وان كنت المراد فسأطلب، فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال: اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت. فحضر فألبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال كيف أهجو من لا أرى في بيتي أثاثا ولا مالا الا من عنده؟ ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتبني

فقال لهم بشر بن أبي حازم: أنا أهجوه لكم: وفعل فأخذ الابل فغار أوس عليها

Digitized by Google

واكتسحها وطلبه فجعل لايستجير حياً من أحياء العرب الا قالوا له: قد أجرناك من الجن والانس الا من أوس ،فكان في هجائه اياه ذكر أمه فلم يلبث الا يسيرا حتى أتي بهأسيرا فدخل أوس الى أمه واستشارها في أمره ؟فقالت أرى ان ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل أنا مثل ذلك فانه لايغسل هجاءه الا مدحه ، فأخبره بما قالت فقال :لاجرم، والله لامدحت أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوس بن حارثة ابن لام ليقضي حاجتي في من قضاها
وما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

لؤم باهلة — كان ذلك مشهورا مضروباً به المثل ،ولم تزل العرب تصف باهلة باللؤم في الجاهلية والاسلام، ثم خفت منهم تلك السمة وشرفت بقتيبة بن مسلم وبنيه حتى قال القائل

اذ ماقريش خلا ملكها فان الخلافة في باهله

ومما يحكى من لؤم باهلة انه قيل لاعرابي :أيسرك ان لك مائة ألف درهم وأنت من باهله ؟فقال ؟لا والله ،فقيل: أفيسرك ان لك حمر النعم وانك منها؟ قال اللهم لا، قيل :أفيسرك انك في الجنة وأنت باهلي ؟قال نعم ولكن بشريطة ان لايعلم أهلها انني منها ،ومن أبيات التمثل والمحاضرة التي تقع في كل اختيار قول بعضهم

فخرت بأصلك أصل شريف ضررت به نفسك الخامله
وما ينفع الاصل من هاشم اذا كانت النفس من باهله

ومما يستجاد لابي حفان قوله

أباهل ينبحني كلبكم وأسدكم ككلاب العرب
ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب

Digitized by Google

وكان الاصمعي يجزع من قول اليزيدي فيه

ومن أنت هل أنت الا امرؤ اذا صح أصلك من باهله
وللباهلي على خبزه كتاب يحرمه آكله

وقد ظرف أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الاصبهاني في قوله من قصيدة للصاحب

وما قعدت بنا الاحوال حتى أقام حذاء أعيننا الحذايا
ومن باراه ضل ولا خفاء بلؤم الباهلي وان تطايا

رماة بني ثعل — يضرب بهم المثل ويوصفون بجودة الرمي من بين قبائل العرب، قال امرؤ القيس

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

وقال أبو مسلم محمد بن بحر

هل أنت مبلغ هذا الفارس البطل عني مقالة صب غير ذي خطل
ان كنت أخطأت برجاساً(١) عمدت له فأنت في رمي قلبي من بني ثعل

قيافة بني مدلج — القيافة علم اختصت به العرب من بين سائر الامم، وهو اصابة الفراسة في معرفة الاشياء في الاولاد والقرابات ومعرفة الآثار، وهي في كنانة أكثر منها في غيرها، و بنو مدلج القافة منهم، وما ظنك بقوم يلحقون الاسود بالابيض والابيض بالاسود والوضيء(٢) بالدميم والدميم بالوضيء والطويل بالقصير والقصير بالطويل، فمنهم سراقة بن مالك المدلجي أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى الغار مع أبي بكر رضي الله عنه فلما رأى أثر قدمه قال: أما محمد فاني لم أره، ولكن ان شئتم ان

(١) البرجاس شيء في الهواء يرمى اليه (٢) الوضيء الحسن

obeikandl.com

Digitized by Google

ألحق هذا الاثر ؟ قالوا فألحقه ، قال هو أشبه شيء بالاثر الذي في مقام ابراهيم عليه السلام ، فضرب ابو سفيان بكمه على الارض ليعفو الاثر ، وقال قد خرف الشيخ ، ومنهم مجزّز المدلجي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى زيد بن حارثة واسامه بن زيد قد ناما في قطيفة وغطيا رؤسهما و بدت أقدامهما ، فقال ان هذه أقدام بعضها من بعض ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن مليح الشعر في القيافة قول أبي محمد بن بطران الشاشي في أخوين متفاوتين

بين أخلاقك التي هي أخلا ق وأخلاق العتاق مسافه
ولعمري لفي ادعائك ايا ه كمن رام ابطال علم القيافه

عيافةُ بني لهب — هم أزجر العرب وأعيفهم . قال بعض الرواة حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فصاح به صائح ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ياأمير المؤمنين . فقال رجل من خلفي : دعاه باسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، فالتفت فاذا هو رجل من بني لهب من بني نصر ابن الازد وهم أزجر العرب وأعيفهم . قال فلما وقفنا للجمار ورميت اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فأدمتها ، فقال قائل : اشعر والله أمير المؤمنين . ولا والله ما يقف هذا الموقف أبدا . فالتفت فاذ أنا بذلك اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول ، وقال كثير في رجل منهم يقال له لهب بن أبي أحجن الأزدي العائف

تيممت لهبا أبتغي العلم عنده وقد صار علم العائفين الى لهب

خطباء اياد — يضرب بهم المثل ؟ وقال يوما عبد الملك بن مروان لجلسائه : هل تعرفون حيا هم أخطب الناس وأجود الناس وأشعر الناس وانكح الناس ؟ فاطرقوا فقال : هم اياد لان قسا منهم وكعب بن امامة وأبو داود الايادي

obeikandl.com

Digitized by Google

منهم وابن الغز منهم وكل مثل في جنسه، فأما قس فهو ابن ساعدة أسقف نجران وأحكم حكماء العرب وأبلغ وأعقل من سمع به منهم ، وهو أول من كتب: من فلان الى فلان: وأول من خطب متوكئاً على عصا، وأول من أقر بالبعث، وأول من قال: أما بعد: وبه يضرب المثل في الخطابة والبلاغة . قال الاعشى

وأبلغ من قس وأجرى من الذي بذي الفيل من خفان أصبح خادرا

وقال الحطيئة

وأخطب من قس وامضي اذا مضى من الريح اذ مس النفوس نكالها

ومن مشهور كلامه ـ مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ ارضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا؟ ومن سائر شعره

في الذاهبين الاولـين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الاكابر والاصاغر
أيقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قساً فقال: يحشر أمة وحده

ثريدة غسان — كان القوم ملوكا يختصون من بين العرب بالطيبات ولهم الثريدة التي يضرب بها المثل ، وهي التي أجمعت العرب على انه ليست ثريدة أطيب منها لا من طعام العامة ولا من طعام الخاصة، فصارت مثلا في أطايب الاطعمة كمضيرة معاوية وفالوزج بن جذعان ، وذكر بعض الرواة انه كان من المخ والمح ولا أطيب منهما

مهور كندة — كانت كندة لا تزوج بناتها بأقل من مائة من الابل وربما أمهرت الواحدة منهن الفا منها، فصارت مهور كندة مثلا في الغلاء حتى

Digitized by Google

قال النبي صلى الله عليه وسلم :اللهم اذهب ملك غسان وضع مهو ركندة ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم :أعظم النساء بركة أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا

حرة بني سليم — يضرب بها المثل في السواد وهي احدى العجائب لانها سوداء وأهلها بنو سليم كلهم سود ومن نزلها من غير سليم اسودّ ، وقال الجاحظ وانهم ليتخذون المماليك للرعي والسقي والمهنة والخدمة من الرومبين والصقالبة مع نسائهم فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تقلبهم الحرة الى ألوان بني سليم. ولقد بلغ من أمر هذه الحرة ان ظباءها ونعامها وذئابها وثعالبها وحميرها وخيلها وابلها كلها سود ، قال والسواد والبياض هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والتربة ومن قبل قرب الشمس وبعدها وشدة حرها ولينها ،وليس ذلك من قبل مسخ ولا عقوبة ولا تشويه ولا تقبيح ، على ان حرة بني سليم تجري مجرى بلاد الترك فانك اذا رأيت الترك ورأيت ابلهم ودوابهم وكل شيء لهم حسبته شيئاً واحدا وكل شيء لهم تركي المنظر

الباب الثامن

فيما يضاف و ينسب الى رجال مختلفين

حكمة لقمان ، رأي سطيح ، جود كعب ، نجل مادر ، بلاغة قس ، عي باقل ، جار أبي دؤاد ، جليس قعقاع ، فتكة البرامن ، حديث خرافة ، مواعيد عرقوب ، وفاء السموأل ، ندامة الكسعى ، عدو سليك ، صفقة أبي غبشان ، قبر أبي رغال ، نفس عصام ، يدى عدل ، هوان قعيس ، ميتة أبي خارجة ، جزاء سنمار ، كنز النطف ، حلف الفضول ، مسير حذيفة ، نكاح حوثرة ، ذكر ابن الغز ، ايرالحارث ابن سدوس نومة عبود ، حمق هبنقة ، جهل أبي جهل

Digitized by Google

شؤم طويس ، كذب مسيلة . طمع أشعب . سينو خالد ، أصفر سليم بخت أبي نافع ، قنديل سعدان . واد عمرو ، شربة أبي الجهم ، لحن الموصلي غناء ابراهيم بن المهدي ، عود بنان . ناي زنام . حرص ابن السقاء . حكاية أبي ديونه ، لواط يحيي بن أكثم

الاستشهاد

حكمة لقمان — قال الله عز وجل — ولقد آتينا لقمان الحكمة . وحكى عنه مواعظه ووصاياه لابنه ونسب اليه سورة من كتابه فما الظن بمن ثبت الله له حكمته وارتضى كلامه؟ أليس حقيقا ان يضرب به المثل؟ ويروى انه كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرائيل فاعتقه وأعطاه مالا وذلك في زمن داود عليه السلام ولم يكن لقمان نبيا في قول أكثر الناس . وعن سعيد بن المسيب ان لقمان النبي كان خياطا . قال وهب بن منبه: قرأت من حكمته نحوا من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاما أحسن منها، ثم نظرت فرأيت الناس قد أدخلوها في كلامهم واستعانوا بها في خطبهم ورسائلهم ووصلوا بها بلاغاتهم، وقد أكثروا من ضرب المثل بحكمته كما قال السري وهو يمدح أبا محمد الفياض الكاتب

أخو حكم اذا بدأت وعادت ... حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكت خطامها فعلوت قسا ... برونقها وقيس بن الخطيم

ومن محاسن مواعظه لابنه قوله له: بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا يابني اياك وصاحب السوء فانه كالسيف يحسن منظره ويقبح أثره ، يابني لاتكن النملة أكيس منك تجمع في صيفها لشتائها، يابني لايكن الديك أكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم، يابني اياك والكذب فانه أشهى من لحم العصفور

Digitized by Google

يابني ان الله تعالى يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض بالمطر ،يابني لاتقرب السلطان اذا غضب والنهر اذا مدّ ، يابني اتخذ تقوى الله بضاعة تأتك الارباح من غير تجارة،يابني شاور من جرب الامور فانه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء ،أنت تأخذه بالمجان ،يابني كذب من قال ان الشر يطفأ بالشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفأ احداهما بالاخرى؛وانما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماء النار

رأي سطيح -- سطيح الكاهن كان يطوى كما تطوى الحصير و يتكلم بكل اعجوبة في الكهانة ،وكذلك شق الكاهن وكان نصف انسان . قال ابن الرومي متمثلا برأي سطيح

واذا ارتأى رأياً فأثقب ناظر نظرا وأبعده مدى تطويح
تبدي له سر العيون كهانة يوحى بها رأي كرأي سطيح
سبقت بحنكته التجارب فطنة كالشوكة استغنت عن التنقيح

وقال أيضاً وذكرهما معاً

لك رأي كأنه رأي شق وسطيح قريعي الكهان
تستشف(١) الغيوب عما تواروا رين بعين جلية الانسان

جود كعب -- قال الجاحظ العامة تحكم بأن حاتماً الطائي أجود العرب ولو قدمته على هرم في الجود لما اعترض عليهم ،ولكن الذي يحدث به عن حاتم لايبلغ مقدار مارووه عن كعب،لان كعبا بذل النفس حتى أعطبه الكرم و بذل المجهود في المال فساوى حاتما من هذا الوجه و باينه ببذل المهجة ، ومن حديثه

(١) أي تكشف الغيوب

Digitized by Google

انه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهر ناجر (١) فضلوا وعطشوا فتصافنوا ماءهم - والتصافن ان تطرح حصاة في القعب - والتفت كعب فأبصر النمريّ يحدق النظر اليه فآثره بمائه وقال للساقي : اسق أخاك النمري ، فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم، ثم نزلوا المنزل الآخر فتصافنوا بقية مائهم ونظر النمريّ الى كعب كنظر أمسه فقال كعب كقول أمسه وارتحل القوم ، وقالوا ارتحل يا كعب ؟ فلم يكن به قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء فقيل له : رد يا كعب انك وارد. فعجز عن الجواب ثم فاضت نفسه النفيسة وقد أكثر الناس التمثل به ، ومن أبدعه قول الصاحب

وما نال كعب في السماحة كعبه

نجل مادر - هو رجل من بني هلال بن عامر يضرب به المثل بلغ من نجله انه سقى أبله فبقي في الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض بالسلح (٢) أي لطخه ، وأحسن من هذا القول ماقرأت للصاحب في رسالة مداعبة قوله اعلم ياأخي انك جئت في اللؤم بنادر، لم تهتد له فطنة مادر ، وكان يأتي الماء حتى اذا روى وأروى ملأه مدراً ضناً على غيره بوروده

بلاغة قس - قد تقدم ذكره وذكر ضرب المثل ببلاغته وخطابته في الباب الذي يلي هذا الباب وهو أشهر من أن يعاد حديثه

عيّ باقل - حديثه مشهور ، وهو انه اشترى ظبياً باحد عشر درهما فمر بقوم فقالوا له: بكم أخذت الظبي؟ فمد يديه وأخرج لسانه يريد باصابعه عشرة

(١) نجر الرجل اذا شرب فلم يرو وبه سمي شهر ناجر وهو أشد الحر وزعم قوم انهما حزيران وتموز وهو غلط انما هما وقت طلوع نجمين في القيظ (٢) السلح ما يخرج من البطن

Digitized by Google

دراهم و بلسانه درهما، فشرد الضبي حين مد يديه وكان الضبي تحت ابطه فجرى المثل بعيه، وقيل أشد عياً من باقل كما قيل أبلغ من سحبان وائل

جار أبي دؤاد — كان كعب بن مامة اذا جاوره رجل قام له بكل ما يصلحه وعياله وحماه ممن يريده، وان هلك له بعير أو شاة أو عبد أخلف عليه، وان مات وداه، فجاوره أبو دؤاد الايادي الشاعر فكان يفعل به ذلك ويزيد في بره فصارت العرب اذا حمدت جار يحسن جواره قالوا كجار أبو دؤاد — قال قيس بن زهير

اطوّف ما أطوّف ثم آوي الى جار كجار أبي دؤاد

وكان أبو دؤاد يفعل بجيرانه مثل ما فعل كعب به، ولبعض أهل العصر في التمثيل به

وعجزي بان عن وصف الايادي كجار أبي دؤاد الايادي

جليس قعقاع — هو القعقاع بن شور الذهلي، كان اذا جالسه واحد بالقصد اليه جعل له نصيباً من ماله واعانه على عدوه وشفع له في حوائجه وغدا اليه بعد المجالسة شاكراً له، ودخل القعقاع على معاوية رضي الله عنه يوماً ومجلسه غاص بأهله فلم يجد موضعاً فاوسع له بعض جلسائه حتى جلس بجنبه، ثم أمر معاوية للقعقاع بمائة الف درهم فقال القعقاع لجليسه اقبضها، فلما قام قال له الرجل خذ مالك. فقال ما دفعته اليك وأنا اريد أسترجعه منك، فقال الرجل في ذلك

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس
فحوك السن ان نطقوا بخير وعند الشر مطراق عبوس

وكان رجل يجالس بني مخزوم فسعوا به وزعموا انه يقع في الولاة، فقال الرجل

شقيت بكم وكنت اكجليساً ولست جليس قعقاع بن شور

obeikandl.com

Digitized by Google

وقبلكم أبو جهل أخوكم غزا بدراً بمجمرة وتود(١)

فتكة البراض — هو البراض بن قيس الكناني أحد فتاك العرب الذين يضرب بهم المثل في الفتك كالحارث بن ظالم وعمرو بن كلثوم والحجاف بن حكيم ، ومن خبر فتكة البراض انه كان وهو في حيه عياراً فاتكا يجني الجنايات على أهله فخلعه قومه وتبرؤا من صنعه، ففارقهم وقدم مكة فحالف حرب بن امية، ثم نبا به المقام بمكة أيضاً ففارق الحجاز الى العراق وقدم على النعمان بن المنذر فقام ببابه ، وكان النعمان بن المنذر يبعث كل عام الى عكاظ بلطيمة(٢) لتباع له هناك، فقال وعنده البراض والرحال وهو عروة بن عتبة: من يجير لي لطيمتي حتى يقدمها عكاظا؟ فقال البراض أبيت اللعن انا مجيرها الى كنانة، فقال النعمان ما أريد الا رجلا يجيرها على الحيين قيس وكنانة، فقال عروة الرحال أبيت اللعن أهذا العيار الخليع يجمل ان يجير لطيمة الملك؟ أنا والله مجيرها على أهل الشيح والقيصوم من نجد وتهامة ، فقال خذها فانت لها ، فرحل عروة بها وتبع البراض أثره حتى اذا صار بين ظهراني قومه وثب اليه البراض بسيفه فضربه ضربة خر منها واستاق العير ، فسارت فتكة (٣) البراض مثلا قال أبو تمام

والفتى من تعرفه الليالي والقوافي كالحية النضناض

كل يوم له بصرف الليالي فتكة مثل فتكة البراض

(١) المجمرة شيء يشد به الشعر ماخوذ من قولهم جمر زيد شعره أي جمعه وعقده في قفاه ولم يرسله . والتود اناء يشرب فيه يريد ان مهجويه بهم خنث كابي جهل شبهه بذلك (٢) اللطيمة العير تحمل الطيب والبز جمعها لطائم (٣) الفتكة بالفتح والكسر القتل فجاة

obeikandl.com

Digitized by Google

وكان يقال فتكات الجاهلية ثلاث ،وفتكات الاسلام اثنتان .فامافتكات الجاهلية ففتكة البراض بعروة، وفتكة الحارث بن ظالم بخالد بن جعفر بن كلاب فتك به وهو في جوار الاسود بن المنذر الملك فقتله وطلبه الملك فاعجزه،وفتكة عمرو بن كلثوم بعمرو بن هند الملك فتك به وقتله في دار ملكه بين الحيرة والفرات وهتك سرادقه وانتهب رحله وخزائنه وانصرف بالتغالبة الى بادية الشام موفوراً ولم يصب أحد من أصحابه،وأما فتكتا الاسلام ففتكة عبدالملك ابن مروان بعمرو بن سعيد بن العاص ،وفيه قيل

كأن بني مروان اذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر

وفتكة المنصور بابي مسلم

حديث خرافة — خرافة رجل من بني عذرة استهوته الجن فلما خلت عنه رجع الى قومه وجعل يحدثهم بالاعاجيب من أحاديث الجن فكانت العرب اذا سمعت حديثاً لاأصل له قالت — حديث خرافة وضربه بن الزبعري مثلا بالكفر بالبعث حيث قال

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو

ثم كثر هذا في كلامهم حتى قيل للاباطيل والترهات خرافات . ويروى ان رجلا تحدث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث فقالت امرأة من نسائه : هذا حديث خرافة ، فقال عليه السلام لا،وخرافة حق . ويروى ان الجن لما استهوته كانت تخبره بما يقع اليهم من أخبار السماء عند استراقهم السمع فيخبر به خرافة أهل الارض فيجدونه كما قال

مواعيد عرقوب — يضرب بها المثل في الكذب والخلف.وعرقوب رجل من خيبر ويقال انه من العمالقة، أتاه أخوه يسأله فقال له عرقوب : اذا اطلعت تلك

Digitized by Google

النخلة فلك طلعها ، فلما اطلعت أتاه كوعده فقال له دعها حتى تبلح. فلما أبلحت أتاه فقال دعها حتى تزهى، فلما زهت قال دعها حتى ترطب. فلما أرطبت قال دعها حتى تثمر فلما أثمرت سرى اليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط أخاه شيئاً فسارت مواعيده مثلا سائراً في الامثال كما قال كعب بن زهير

صارت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها الا الاباطيل

فليس تنجز ميعاداً اذا وعدت ... الا كما يمسك الماء الغرابيل

وقال الشماخ

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

ومما نقم به عمرو بن هند على المتلمس حتى أمر فيه بما أمر قوله في هجائه

وطردتني حذر الهجاء ولا ... واللات والانصاب لاتئل

شر الملوك وشرهم حسباً ... في الناس ان عز واوان جهلوا

من كان خلف الوعد شيمته ... والغدر عرقوب له مثل

وقال الصنوبري في نظم قصة عرقوب

قالوا لنا نخلة وقد طلعت ... نخلتها فاصطبر لطلعتها

حتى اذا صار طلعها بلحاً ... قالوا توقع بلوغ بسرتها

حتى اذا بسرها غدا رطباً ... فازوا باغداقها برمتها

عدمتها نخلة كنخلة عر ... قوب ومن قصة كقصتها

وقرأت لبعض الكتاب فصلا في الشكوى استظرفت منه قوله وقد حصلت على أحزان يعقوب ومواعيد عرقوب

وفاء السموأل هو ابن عاديا اليهودي القائل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

Digitized by Google

ومن وفائه ان امرء القيس بن حجر الكندي لما أراد الخروج الى الروم استودع السموأل درعه، فلما هلك امرء القيس غزا ملك من ملوك الشام السموأل فتحصن منه في حصنه، فأخذ الملك ابنا له خارج الحصن وقال له :اما ان تفرج عن وديعة امرء القيس واما ان أقتل ابنك؟ فامتنع عن تسليم الوديعة فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه ،ثم انصرف ووافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرء القيس وقال

بني لي عادياً حصنا منيعاً وماء كلما شئت استقيت
وفيت بادرع الكندي اني اذا ما خان أقوام وفيت

وقالوا انه كنز رغيب ولا والله أعذر مامشيت

وقد أكثر الناس من ضرب المثل به فمن ذلك قول الاعشي

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
بالابلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار
ورامه الخسف تهديدا فقال له مهما تقله فاني سامع جار
فقال غدر وثكل ابن تعز به فاختر وما فيهما حط لمختار
فشك غير طويل ثم قال له أقتل أسيرك اني مانع جاري

ندامة الكسعي— هو محارب بن قيس، ومن حديثه انه كان يرمي ابلاله فبصر بنبعة في صخرة فاعجبته وقال :ينبغي ان تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويرقبها حتى اذا أدركت قطعها وجففها، فلما جفت اتخذ منها قوساً وأسهما ثم خرج حتى أتى غرّة على موارد حمير وحش فكمن ليلاً فيها فمر قطيع منها فرماه فمرق منه السهم فظن انه أخطأ ،ثم لم يزل يفعل ذلك حتى أفنى الاسهم الخمسة في

obeikandl.com

Digitized by Google

خمسة أعيار (١) وقد أصابها كلها وهو يظن انه أخطأها، فانشأ يقول

أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي فاريد ردها
أخزى الاله لبنها وشدها ... والله لاتسلم عندي بعدها
ولا أرجى ماحييت رفدها

ثم عمد الى القوس فضرب بها حجراً وكسرها ونام، فلما أصبح نظر الى الاعيار مصرعة حوله وأسهمه مضرجة فندم على كسر القوس فشد على ابهامه فقطعها وأنشأ يقول

ندمت ندامة لو ان نفسي ... تطاوعني اذن لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وسارت ندامته مثلا في كل ناد على ماجنته يداه، كما قال الفرزدق لما طلق امرأته كوار وندم عليها

ندمت ندامة الكسعيّ لما ... غدت مني مطلقة كوار
وكنت كفاقئ عينيه جهلا ... فاصبح لايضيء له نهار
وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لج به الفرار

وقال آخر

ندمت ندامة الكسعيّ لما ... رأت عيناك ما صنعت يداك

عدو سليك — هو السليك بن سلكة الذي يقال له سليك المقانب وقد تقدم ذكره، والعرب تضرب به المثل وتزعم انه والشنقري أعدى من رؤي ويحكي كثير عن سبقهما الافراس وصيدهما الظباء عدوا والله أعلم بصدقه وكذبه. قال

(١) أعيار جمع عير

obeikandl.com
Digitized by Google

أبو عبيدة العدّأودن من العرب السلبك والشنقري والمنتشر بن وهب وأوفى ابن مطر ،ولكن المثل سار من بينهم بالسليك

صفقة أبي غبشان يضرب به المثل في الخسران وكانت خزاعة سدنة(١) الكعبة قبل قريش ، وكان أبو غبشان الخزاعي يلي من بينهم أمر الكعبة و بيده مفاتيحها،فاتفق له انه اجتمع مع قصيّ بن كلاب في شرب بالطائف فخدعه قصيّ عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره ثم اشتراها منه بزق خمر وأشهد عليه ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصي وسرحه الى مكة ،فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال: يامعاشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم اسماعيل عليه السلام قد ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم ،وأفاق أبو غبشان من سكره نادما خاسرا، فقال الناس أحمق من أبي غبشان وأندم من أبي غبشان وأخسر صفقة من أبي غبشان فذهبت الكلمات الثلاث أمثالاً ،وأكثرت الشعراء القول فيه فقال بعضهم

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت بزق خمر فما فازت ولا ربحت

وقال آخر

أبو غبشان أظلم من قصيّ وأظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحو قصياً في شراء ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال آخر

اذا افتخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمور
تبيع لكعبة الرحمن حمقا بزق بئس مفتخر الفخور

قبر أبي رغال أبو رغال هو الذي كان يرجم الناس قبره اذا أتوا مكة

(١) السادن خادم الكعبة والسدنة الخدمة

Digitized by Google

وكان وجهه فيما يزعمون صالح النبي عليه السلام على صدقات الاموال فخالف أمره وأساء السيرة فوثبت عليه ثقيف فقتلته قتلا شنيعاً، وانما فعلوا ذلك لسوء سيرته في أهل الحرم. وقد ذكره الشعراء فاكثروا، قال مسكين الدارمي

وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال

وقال جرير

اذا مات الفرزدق فارجموه كرجم الناس قبر أبي رغال

وأنشد الجاحظ للحكم بن عمرو الهزواني

والذي كان يكتني برغال جعل الله قبره شر قبر

وقال عمرو بن الخطاب رضي الله عنه لغيلان بن سلمة حين أعتق عبيده وجعل ماله في رتاج الكعبة - لئن لم ترجع في مالك لارجمن قبرك كما يرجم قبر ابي رغال -

نفس عصام — يضرب مثلاً لمن يشرف بالاكتساب لا بالانتساب ويسود بنفسه لا بقومه، وعصام هو الباهلي الذي يقول فيه النابغة

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكرّ والاقداما

وجعلته ملكا هماما

كان عصام هذا حاجب النعمان بن المنذر فعرض للنعمان مرض أحجبه فيه عن الناس حتى ارجفوا به. ولما تعذر وصول النابغة اليه قال فيه قصيدة منها قوله لعصام

فاني لا أومك في دخول فقل لي ما وراءك يا عصام

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمول على النعش الهمام

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

قال الجاحظ وانما مدحه ليستأذن له وليوصله ولم يمدحه بمثل الحجابة في

Digitized by Google

عينه ، ومعلوم كيف قدر حاجب الملك اليوم . وكان الامير اسماعيل بن احمد الساماني يقول: كن عصاميا ولا تكن عظاميا، أي سد بشرف نفسك كما ساد عصام ولا تتكل على سؤدد آبائك الذين ماتوا وصاروا عظاما نخرة فان الشاعر يقول

اذاما الحي عاش بعظم ميت فذاك العظم حي وهو ميت

يدا عدل — هو عدل بن سعد العشيرة ، كان على شرطة تبع وكان تبع اذا أراد قتل رجل دفعه اليه ، فجرى المثل به في ذلك الوقت فصار الناس يقولون للشيء الذي ييأسون منه: هو على يدي عدل ، وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يقول عند ذم العدول . ماوقع في يدي عدل فهو على يدي عدل

هوان قعيس — قال الجاحظ كان قعيس عند عمته في ليلة مطر وقر وكان قد أتى بيتها ضيفا فادخلت كلبها الى البيت وتركت قعيسا في المطر فمات من البرد، وذكر الشرفي بن القطامي ان قعيس بن مقاعس من بني تميم ، وانه لما مات أبوه حملته عمته الى صاحب برّ فرهنته على صاع من بر ولم تفكه حتى غلق(١) الرهن واستعبده الخياط(٢) فصار عبدا له فصار هوان قعيس مثلا كما قال جحظة البرمكي ويروى انه المنصور الفقيه

اذا ما البخيل ثوى في الثرى خرى وارثوه على سخنته(٣)

هوان البخيل على أهله هوان قعيس على عمته

ميتة أبي خارجة — سمع اعرابي يقول وهو متعلق بأستار الكعبة : اللهم ميتة كميتة أبو خارجة . فقيل له كيف كانت ميتة أبي خارجة . فقال اكل ثريدا وشرب مشعلا (٤) ونام شامساً فأتته منيته شبعان ريان دفان

---

(١) غلق الرهن استحقه المرتهن (٢) بائع الخنطة (٣) سخنته هيئته (٤) أزاء من أديم

obeikandl.com

Digitized by Google

جزاء سنمار — يضرب به المثل للمحسن يكافأ بالاساءة ، وكان سنمار الرومي مشهوراً ببناء المصانع والحصون والقصور للملوك فبنى الخورنق على فرات الكوفة للنعمان بن امريء القيس في مدة عشرين سنة فكان يبني مدة و يغيب مدة يريد بذلك أن يطمأن البنيان ويتمكن ، فلما فرغ منه وصعده النعمان وهو معه ورأى البر والبحر ورأى صيد الضباب والظباء والحمير ورأى صيد الحيتان وصيد الطير وسمع غناء الملاحين وأصوات الحداة أعجبه حسن البناء وطيب موضعه ، فقال سنمار عند ذلك متقرباً اليه بالحذق وحسن المعرفة : أبيت اللعن والله اني لاعرف في اركانه موضع حجر لو زال لزال جميع البنيان ، قال أو كذلك ؟ قال نعم ، قال لاجرم والله لادعنه ولا يعلم بمكانه أحد ، ثم أمر به فرمي من أعالي البنيان فتقطع ، و يقال بل قتله مخافة أن يبني مثله لغيره من الملوك ، فقال شرحبيل الكلبي وجعل الحديث مثلا

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعالي عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه ... رآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
وظن سنمار به كل نافع ... وفاز لديه بالكرامة والقرب
فقال اقذفوا بالعلم من رأس شاهق ... وذاك لعمر الله من أعظم الخطب

كنز النطف — من امثال العرب — كان عنده كنز النطف — وهو النطف بن جبير أحد بني سليط بن الحارث بن يربوع وكان أصاب جوهرا من الطيمة التي أنفذها بازان من اليمن الى كسرى ابن هرمز فانتهبها بنو حنظلة وحصلت الجواهر عند النطف فكنزها وقتلت بها بنو تميم يوم صفقة المشقر ، وصار كنز

Digitized by Google

النطف مثلا في كل رغيبة وعلق نفيس يقال — لو كان عنده كنز النطف ماعدا (١)

حلف الفضول — هو في بعض الروايات تحالف ثلاثة من الفضلين على ان لا يروا ظالما بمكة الا غيروه، وأسماؤهم الفضل بن شراعة والفضل بن قضاعة والفضل بن بضاعة، والرواية الصحيحة انه لما كان فيه من الشرف والفضل سمي حليف الفضول، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد شهدت في دار عبدالله ابن جدعان حلفا لو دعيت الى مثله اليوم لاجبت، وكان سبب ذلك الحلف ان رجلا جاورهم من زبيد فظلم حقه وثمن سلعته وكانت ظلامته عند العاص بن وائل السهمي. وكانت لرجل من بارق ظلامة عند أبي بن خلف الجمحي فلما سمعه الزبير بن عبد المطلب الزبيدي وقد صعد في الجبل ورفع عقيرته بقوله

يالالرجال لمظلوم مضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لنوب الفاجر الغدر

فقال الزبير

حلفت لنعقدن حلفا عليهم وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يقرّبه الغريب لذى الجوار

ثم قام هو وعبدالله بن جدعان فدعوا قريشا الى التحالف والتناصر والاخذ للمظلوم من الظالم فاجابوهما وتحالفوا في دار بن جدعان وشهده النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي، فهذا حلف الفضول. واما حلف المطيبين فهو تحالف آخر من قريش. لما اجتمعوا لذلك غمسوا ايديهم في الطيب ثم تصافحوا وتحالفوا وتعاقدوا

(١) ماعدا أي ماصرف وفي الاثر ماعدا مما بدا أي ما الذي ظهر منك من التخلف بعد ما ظهر منك من الطاعة. وقيل ماصرفك عما كان بدا لنا من نصرتك. وقيل ما بدا لك مني فصرفك عني

obeikandl.com

Digitized by Google

ومسير حذيفة — قال المبرد: من المسير المذكور الذي يتمثل به مسير حذيفة بن بدر، وكان اغار على هجائن بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخطيم متمثلا به

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر

نكاح حوثرة — حوثرة رجل من عبد القيس يضرب به المثل العرب في شدة النكاح وكثرته، فتقول انكح من حوثرة، ومن يضرب به المثل في النكاح والغلمة حوات ابن جبير الانصاري صاحب ذات النحبين، وكان يأتي أحياء العرب يتطلب النساء فاذا سئل عن حاجته قال قد شرد لي بعير فخرجت في طلبه، وادرك الاسلام وشهد بدرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مافعل بعيرك ايشرد عليك؟ فقال اما منذ قيده الاسلام فلا، وتزعم الانصار ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بان تسكن غلمته فسكنت بدعائه صلى الله عليه وسلم

ذكر بن ألغز — بن ألغز رجل من أياد كان أعظم الناس ايرًا وأشدهم نكاحًا، وكان اذا انعظ وتحرك يستلقي على قفاه فيجيء الفصيل الاجرب فيحتك بايره يظنه الجذل والجذل عود في العطن ينصب لتحتك به الابل الجرباء — ويزعمون انه أصاب رأس ايره جنب عروس زفت اليه فقالت: أتهددنا بالركبة: وهو القائل

ألا ربما أنعظت حتى اخاله سينقدّ بالانعاظ أو يتمزق

فامسكه حتى اذا قلت قد ونى الي تمطى جامحًا يتسبق

ومن ضرب به المثل الفرزدق حيث قال

لحا الله هذا من حلال ومن يقل سوى ذاك لاقاه باير ابن ألغز

وقال آخر

Digitized by Google

أولاك الالى كان ابن ألغز منهم ولا مثل ما كان ابن ألغز يصنع

وذكر عبد الملك بن مروان ايادا فقال: هم أخطب الناس لمكان قس وأسخى الناس لمكان كعب ،وأشعر الناس لمكان أبي ذؤاد، وأنكح الناس لمكان ابن ألغز.

ايار الحرث بن سدوس — يضرب به المثل في كثرة الأولاد. قال الاصمعي كان له احد وعشرون ذكرا قال الشاعر

فلو شاء ربي كان ايار أبيكم طويلا كايار الحارث بن سدوس

والعرب تقول فلان طويل الايار ،اذا كان كثير الاولاد. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من يطل ايار أبيه ينتطق به أي من كثرت اخوته استظهر بهم وضرب المنطقة اذ كانت تشد الظهر مثلا لذلك

نومة عبود روى الفراء عن المفضل بن سلمة. قال كان عبود عبداً اسود حطابا فبقي في محتطبه اسبوعا لم ينم ثم انصرف وبقي اسبوعا نائما فضرب به المثل لمن ثقل نومه، فقيل قد نام نومة عبود. وقال الشرفي بن القطامي: أصل ذلك ان عبودا تماوت على أهله وقال اندبوني لاعلم كيف تندبون اذا مت فسجينه وندبنه فاذا به قد مات. قال أبو عبد الله بن الحجاج: وهو يضرب به المثل كقولهم.

قوموا فأهل الكهف مع عبود عندكم صراصر

حمق هبنقة — قال حمزة الاصبهاني هو هبنقة ذو الودعات ، واسمه يزيد ابن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة ،ومن حمقه انه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظم وخزف ،وهو ذو لحية طويلة فسئل عنها ؛ فقال : لاعرف بها نفسي ولئلا أضل، فبات ذات ليلة وأخذ أخوه قلادته فتقلدها، فلما أصبح هبنقة رأى القلادة

Digitized by Google

في عنق أخيه . فقال له: يا أخي ان كنت أنت أنا فمن أنا؟ ومن حمقه انه اختصمت الطفاوة و بنو راسب الى عرباض في رجل ادعاه هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطفاوة هذا من عرافتنا، وقالت بنو راسب بل هو من عرافتنا، ثم قالوا قد رضينا بحكم أول من يطلع علينا، فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم هبنقة فقصوا عليه القصة، فقال الحكم عندي في ذلك ان تلقوه في نهر البصرة فان كان راسبيا رسب. وان كان طفاويا طفا، فقال الرجل قد زهدت في النسبتين فخلوا عني فلست من راسب ولا من الطفاوة . ومن حمقه انه ضل له بعير فأخذ ينادي من وجد بعيري فهو له فقيل له فلم تنشده ؟ قال فأين حلاوة الوجدان؟ وكان يرعى غنما له فيرعى السمان منها وينحي المهازيل . فقيل له في ذلك ؟ فقال لا أفسد ما أصلح الله ولا أصلح ما أفسد الله ، وقال الشاعر فيه

عش بجد ولا يضرك نوك انما عيش من ثوى بالجدود
عش بجد وكن هبنقة القيـ ـسيّ أو مثل شيبة بن الوليد(١)
رب ذي اربة مقلّ من الما ل وذي عنجهية (٢) مجدود

وقال آخر

فعش بجد وكن كهبنقة يرض بك الناس قاضيا حكما

وأخبار حمقه كثيرة والمثل به سائر كما سار بحمق جحا وحمق دغة

جهل أبي جهل هو ابن هشام يضرب به المثل لجهله لموافقة كنيته صفته ، وكان يكنى بأبي الحكم ، وفيه قال مصعب بن الوراق في مخالفة ظاهره باطنه

الناس كنوه أبا حكم والله كناه أبا جهل
أبقت رئاسته لاسرته غضب الاله وذلة الاصل

(١) شيبة ابن الوليد من رجالات العرب (٢) والعنجهية الجهل

Digitized by Google

وفيه يقول أيضاً حسان بن ثابت

ألم تريائي حين أغدو مسبحاً ... بسمت أبي ذر وجهل أبي جهل
ومحبرتي رأس الرياء ودفتري ... ونقلي بالاسحار مغتلساً رحلي
فكم من فتى قد قال والده له ... علمت بهذا انه من ذوي الفضل
يبرئه من ان يصاحب شاطرا ... كمن فرّ من حبس الخراج الى القتل

وقال ابن الحجاج من قصيدة

برطل راح كالمسك ساعية ... تغنيك في طيبها عن النقل
عادية السن بطش سورتها ... أجهل في الرأس من أبي جهل

شؤم طويس — طويس من مخنثي المدينة، وكان يسمى طاووساً فلما تخنث سمي بطويس، ويكنى بأبي عبد النعيم، وهو أول من غنى في الاسلام بالمدينة ونقر بالدف المربع، وكان مأبونا خليعاً يضحك كل حزين وثكلى، وكان يقول ياأهل المدينة مادمت بين ظهرانيكم فتوقعوا خروج الدجال والدابة، فان مت فأنتم آمنون. اعلموا ان أمي كانت تمشي بين نساء الانصار بالنمائم، وولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطمتني يوم مات أبو بكر رضي الله عنه وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه وولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي رضي الله عنه، وكان يضرب به المثل في التخنث وفي الابنة والشؤم، ومن أملح ما أحفظ في التمثل بشؤمه قول أبي الفتح البستي في أبي علي بن سمجور

ألم تر ما ارتاه أبو عليّ ... وكنت أراه ذالب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه ... جيوش يقلقون أبا قبيس

Digitized by Google

وصير طوس معقله فأضحت عليه طوس أشأم من طويس

وكان أبو الحسن اللحام يلقب أبا جعفر محمد بن العباس بن الحسن بطويس حتى شهر به ، وفيه يقول

عاد الى الحضرة نفسان طويس والنذل بن مطران

اثنان ما ان لهما ثالث الا عصا موسى بن عمران

كذب مسيلة – هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفي من أهل اليمامة، كان صاحب نيرنجات واسجاع ومخاريق وتمويهات ،وادعى النبوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، فما زال يخفي ويظهر ويقوى ويضعف وأهل اليمامة فرقتان احداهما تعظمه وتؤمن به والاخرى تستخفه وتضحك منه ، وكان يقول: أنا شريك محمد في النبوة،وجبريل عليه السلام ينزل عليّ كما ينزل عليه،وكان رجال بن عنفوة من رائشي نبله والحاطبين في حبله والساعين في نصرته وكان مسيلة يقول: يابني حنيفة ما جعل الله قريشاً أحق بالنبوة منكم وبلادكم أوسع من بلادهم وسوادكم أكثر من سوادهم وجبريل ينزل على صاحبكم مثل ما ينزل على صاحبهم ، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد الناس يتذاكرونه وما يبلغهم عنه من قوله وقول بني حنيفة فيه ،فقام يوما خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد فاما هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه فكذاب بثلاثين كذاباً قبل الدجال،فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب ،وأظهروا شتمه وعيبه وتصغيره ،وهو باليمامة يركب الصعب والذلول في تقوية أمره ويعتضد برجال بن عنفوة وهو ينصره ويذب عنه ويصدق أكاذيبه ويقرأ أقاويله التي منها – والشمس وضحاها في ضوئها ومجلاها . والليل اذا عداها يطلبها ليغشاها فادركها حتى أتاها وأطفأ نورها فمحاها ومنها – سبح اسم ربك الاعلى الذي يسر

Digitized by Google

على الحبلى فاخرج منها نسمة تسعى من بين أحشاء ومعى ، فمنهم من يموت ويدس في الثرى ومنهم من يعيش ويبقى الى أجل ومنتهى والله يعلم السر وأخفى ولا تخفى عليه الاخرة والاولى — ومنها اذكروا نعمة الله عليكم واشكروها اذ جعل لكم الشمس سراجاً والغيث ثجاجا ، وجعل لكم كباشا ونعاجا ، وفضة وزجاجا وذهباً وديباجا ، ومن نعمته عليكم ان أخرج لكم من الارض رمانا وعنباً وريحانا وحنطة وزوانا (١) وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا قرع سمعه هذه الترهات يقول اشهد ان هذا الكلام من آل (٢) وكان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فيما يرى النائم ان في يده سواري ذهب فنفخهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن ، فأولها مسيلمة صاحب اليمامة والاسود العنسي صاحب اليمن . وكان رجال بن عنفوة صاحب مسيلمة قدم المدينة مرارا وقرأ القرآن وأظهر الايمان وأسر الكفر ، ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في أصحابه اذ سمع وطئا من خلفه فقال هذا وطء رجل من أهل النار ، فاذا هو رجال بن عنفوة ، فلما قدم وفد حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم مسيلمة الا انه لم يلقه وأظهروا الاسلام وأرادوا الانصراف أمر لهم عليه الصلاة والسلام بجوائز كعادته في الوفود ، وقال هل بقي منكم أحد ، قالوا لا الا رجل منا يحفظ رحالنا يعنون مسيلمة فقال صلى الله عليه وسلم : ليس بشركم مكانا ، فلما رجع الوفد الى مسيلمة وقد بلغه كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال : لهم قد سمعتم قول محمد فيّ ليس بشركم مكاناً ، وقد أشركني في الامر فسكتوا ولم يخبروا جواباً ، فقال رجال بن عنفوة : ياقوم نبي منكم خير لكم من نبي من غيركم ، وأنا أشهد ان محمدا أشركه في الامر بعده فعليكم به ، ولما انصرفوا الى اليمامة أعلن مسيلمة النبوة وادعى الشركة وفتن أهل اليمامة

(١) الزوان حب يخالط البر (٢) الآل الشخص يريد انه من بشري

Digitized by Google

وانقسموا بين مصدق ومكذب وراض وساخط، وكتب مسيلمة الى النبي صلى الله عليه كتابا قال فيه — الى النبي محمد رسول الله من مسيلمة رسول الله — أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك، وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يعتدون ولا يعدلون — وختم الكتاب وأنفذه مع رسولين، فلما قرئ الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما: ما تقولون؟ قالا نقول ما قال أبو ثمامة، فقال أما والله لولا ان الرسل لا يقتلون لقتلتكما، واملى في الجواب — من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ولما صدر الرسولان الى مسيلمة الكذاب افتعل كتاباً يذكر فيه انه جعل له الامر من بعده، فصدقه أكثر بني حنيفة. وبلغ من تبركهم به انهم كانوا يسألونه أن يدعو لمريضهم ويبرك لمولودهم، وجاءه قوم بمولودهم فمسح رأسه فقرع، وجاءه رجل يسأله أن يدعو لمولود له بطول العمر فمات من يومه، وكان ثمامة بن أثال الحنفي يقشعر جلده من ذكر مسيلمة، وقال يوماً لاصحابه ان محمداً لا نبيّ معه ولا بعده كما ان الله تعالى لا شريك له في الوهيته فلا شريك لمحمد في نبوته، ثم قال أين قول مسيلمة — يا ضفدع نقّي نقّي كم تنقين لا الماء تكدّرين ولا الشرب تمنعين من قول الله تعالى الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم — حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير — فقالوا: أوقح بمن يقول مثل ذلك مع مثل هذا، ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه وارتدت العرب بعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد الى حرب أهل الردة فاوقع بهم وانتصف منهم، ثم أمره أبو بكر رضي الله عنه بقصد اليمامة ومقارعة مسيلمة ففعل وزحف اليها في وجوه المهاجرين والانصار، وتلقاه مسيلمة في خيله ورجله، ولما كان يوم اليمامة حمي

Digitized by Google

الوطيس واشتدت الواقعة وعظمت الملحمة والتجأ بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الى حديقة سميت من بعده حديقة الموت، فاقتحمها خالد رضي الله تعالى عنه والمسلمون ووضعوا فيهم السيوف وقتل الله مسيلمة فاشترك في قتله وحشيّ بحربته وعبد الله بن الزيد بسيفه، وفتح الله تعالى اليمامة على المسلمين وأفاء عليهم الغنيمة ببركة أبي بكر الصديق ويمن نقيبته (١) رضي الله تعالى عنه

طمع أشعب — كان أشعب من أهل المدينة، وكان صاحب نوادر وصاحب اسناد وكان يحدث فيقول: حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وكان يبغضني في الله. فاذا قيل له دع ذا، قال ليس للحق متروك. وكانت عائشة بنت عثمان كفلته وكفلت معه بن أبي الزناد: وكان أشعب يقول: تربيت أنا وابن أبي الزناد في مكان واحد فكنت أسفل وهو يعلو حتى بلغنا الى ماترون، وسأله رجل شراء قوس بدينار. فقال: لو كنت اذا رميت عنها طائراً وقع مشويا بين رغيفين ما اشتريته بدينار. وقال له سالم بن عبد الله: ما بلغ من طمعك؟ قال ما نظرت الى اثنين في جنازة يتساران الا قدّرت ان الميت أوصى لي بشيء، ومازفت في جواري امرأة الا كنست بيتي رجاء أن يغلط بها اليّ، وبلغ من طمعه انه مر برجل يعمل طبقاً فقال أحب أن تزيد فيه طوقاً. فقال ولم؟ قال عسى أن يهدي اليّ فيه شيء فيكون أكثر. وقيل له هل رأيت أطمع منك؟ قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لي فنزلنا عند دير فيه راهب وتلاحينا (٢) في أمر فقلت اير الراهب في است الكاذب. فنزل الراهب وقد أنعظ وقال: بابى انتما من الكاذب منكما، ونوادره وطمعه أكثر من أن تحصى. وقد تظرف من قال في كذب مسيلمة وطمع أشعب

---

(١) النقيبة النفس يقال هو ميمون النقيبة أي مبارك النفس (٢) تنازعنا بالفحاش

Digitized by Google

وتقول لي قولا أظنك صادقاً فأجئ من طمع اليك واذهب
فاذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس قالوا مسيلة وهذا أشعب

سنو خالد -- يضرب المثل بها اهل المدنية فى القحط والشدة كما يضرب المثل بسنى يوسف، وخالد هذا هو خالد بن الحارث بن الحكم المعروف بابن مطيرة ولي لهشام بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة سبع سنين فاقحط الناس حتى اجلي اهل البوادي الى الشام ، وكان يقال سنو خالد لا أعاد الله امثالها

اصفر سليم --كان سليم صيدلانيا بالبصرة ،وقد عجن دواء اصفر لكل ماشرب له، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور فصار مثلا في البركة وحسن الموقع وقد قيل فيه غير هذا، والله تعالى اعلم

بخت أبي نافع -- كان أبو نافع تاجرا ماخسرت تجارته قط وما عرف الا الربح فيما يبيعه ويشتريه طول أيامه ،فسار المثل ببخته

قنديل سعدان -- كان يحيى بن خالد ولى سعدان الديوان فكان يرتشى ولا يقضي حاجة لاحد مالم يأخذ رشوة حتى قال فيه الشاعر

ظن(١)في قنديل سعدا ن مع التسليم زيتا
وقنـاديل بنيه قبل ان تجفو الكميتا

فلما شهر بالارتشاء عزله يحيى وولى مكانه أبا صالح بن ميمون فكان يربو على سعدان في الارتشاء وفرط الطمع فقيل له فيه

قنديل سعدان على ضوئه فرخ لقنديل أبي صالح
تراه في ديوانه أحولا من لمحه للدرهم اللائح

فعزله يحيى وأعاد سعدان الى عمله

(١) ظن الزيت في القنديل كناية عن الرشوة

obeikandl.com

Digitized by Google

واو عمرو - يضرب مثلا لما لايحتاج اليه ، وأول من ضرب المثل بها أبو نواس حيث قال لاشجع السلمي

أيها المدعى سليما سفاها لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت في سليم كواو ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

وقال ابن بسام

ياطلوع الرقيب ما بين الف ياغريما أتى على الميعاد
ياركودا في يوم صيف وغيم ياوجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فانما أنت فينا واوعمرو وكالحديث المعاد

وأحسن ما سمعت فيه قول أبي سعيد الرستمي للصاحب بن عباد من قصيدة

أفي الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا ويحرم ما دون الرضى شاعر مثلي
كما ألحقت واو بعمرو زيادة وضويق باسم الله في الف الوصل

ووصف بعضهم زيادة لايحتاج اليها ، فقال واو عمرو وبغلة الشطرنج

شربة أبي الجهم - يضرب مثلا للشيء الطيب اللذيذ الرديء العاقبة ، وكان أبو الجهم عينا لابي مسلم على أبي جعفر المنصور يراعيه ويداخله ويحفظ أنفاسه والمنصور يستشغله ويتبرم به ويترصد الغوائل له ، فبينما هو ذات يوم عنده اذ عطش فاستسقى فقال المنصور ياغلام اسقه سويق اللوز بالطبرزد ، فجاءه بقدح منه وفيه سمّ سريع القتل فشربه أبو الجهم ولم يلبث ان حرك بطنه ، فقام فقال المنصور : الى أين ياأبا الجهم ؟ فقال الى حيث وجهتني ياأبا جعفر ، ورجع الى منزله وقذف كل شيء في بطنه وتلف في وقته فقيل فيه

تجنب سويق اللوز لا تشربنه فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

obeikandl.com

Digitized by Google

لحن الموصلي - هو اسحق بن ابراهيم، يتمثل به في الظرف وحوزه الغناء كما قال ابن عيينة وهو يصف حمامة

وورقاء تحكي الموصلي اذا شدا بألحانه احبب بها وبمن يحكي

وقال آخر

أزاح بلبالي غناء البلبل اذ مر في الالحان كالموصلي

وقال آخر

خلق ما يكاد يصبر عنه قلب خلق الا بالف كفيل

وحديث كان اسحاق يحدو في تضاعيفه بشعر جميل

غناء ابراهيم بن المهدي - كان من آدب الناس وأشعرهم وأبلغهم وغلب عليه الغناء فبرز فيه وأعجز وسحر وبهر حتى ضرب به المثل، وكان عجيب الشأن بديع الوصف والحال، وكان اسود شديد السواد براق اللون، وأبوه المهدي أبيض وأمه أميل الى السواد وتنقلت به أحوال وأدوار، وتقلد الخلافة سنتين الى ان دخل المأمون بغداد وهو مستتر ثم ظهر وعفا عنه المأمون ورد عليه أمواله وأكرمه ونادمه ورتبه في مشايخ بني هاشم، وكان غناء ابراهيم لاخيه الرشيد ثم للثلاثة من بني أخيه الخلفاء وهم الامين والمأمون والمعتصم، وطرب المعتصم يوما لغنائه فقال: أحسنت ياأمير المؤمنين، فقال ابراهيم عربدت ياأمير المومنين وكان اذا ضرب وغنى لاحدهم في الصحاري والمصائد والمتنزهات وقفت له الطير وعكفت عليه الوحوش حتى تكاد تؤخذ بالأيدي، وكان أبو عيسى ابن الرشيد يقول له: اسكر على صوتك شهادة ياعمّ. وكان أحمد بن يوسف يقول فيه: القلوب من غنائه على خطر فكيف الجيوب. وقرأت الى أبي اسحاق الصابي فصلا لأبي عثمان الخالدي استحسنته جدا في محاسن الافراد وهو

Digitized by Google

قوله له — لو كان لك خصم يجمع شعر البحتري وغناء ابراهيم بن المهدي ومذاكرة الأصمعي وكتابة جعفر بن يحيى وحسن وجه المعتز وطيب عشرة حمدون ، لما كنت الا منحرفا عنه معينا عليه مقبحا محاسنه من أجلك —

عود بنان وناي زنام — كان بنان و زنام مصدّ ري مطربي المتوكل، وكان كل منهما منقطع القرين في طبقته ، فاذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وفتنا وأعجبا وعجبا، وكان المتوكل لا يشرب الا على سماعهما ، وفيهما يقول البحتري من قصيدة

هل العيش الاماء كرم مصفق ... يرقرقه في الكأس ماء غمام
وعود بنان حين ساعد شدوه ... على نغم الألحان ناي زنام

خرص أبي السقاء — كان يخرص (١) النخيل بالبصرة للسلطان فلا يغلط برطل يضرب به المثل في ذلك

حكاية أبي ديونه — كان زنجيا وكان كما قال ابن الرومي يخاطبه

حكيت القرد في قبح وسخف ... وما قصرت عنه في الحكاية

وكان يحكي كل صوت وكل هيئة وكل مشية . ويحكي اصوات الدواب والبهائم والطير فلا يفرق بين صوته وأصواتها ، ونظيره في زماننا أبو الورد صاحب المهلبي الوزير ولا ثالث لهما

لواط يحيى بن أكثم — أصله من مرو فاتصل بالمأمون أيام مقامه بها فاختص به واستولى على قلبه وصحبه الى بغداد ومحله منه محل الأقارب أو أقرب . وكان متقدما في الفقه وآداب القضاة حسن العشرة عذب اللسان وافر

(١) خرص حزر ما على النخيل من الرطب تمرا أي قدره وخرص النخل كحرد سائر الغلات

obeikandl.com

Digitized by Google

الحظ من الجد والهزل، ولاه المأمون قضاة القضاة وأمر بأن لايحجب عنه ليلا ولا نهارا وافضى اليه بأسراره وشاوره في مهماته وكان يحيى ألوط من ثفر (١) ومن قوم لوط، وكان اذا رأى غلاما يفسده وقعت عليه الرعدة وسال لعابه وبرق بصره، وكان لايستخدم في داره الا المرد الملاح ويقول : قد أكرم الله تعالى أهل جنته بأن أطاف عليهم الغلمان في حال رضائه عنهم لفضلهم على الجوارى فما بالي لاأطلب هذه الزلفى والكرامة في دار الدنيا معهم ؟ ويقال هذا الذي زين للمأمون اللواط وحبب اليه الولدان وغرس في قلبه محاسنهم وفضائلهم وخصائصهم، وقال : انهم بالليل عرائس وبالنهار فوارس وهم للفراش والمهراش والسفر والحضر، فصدر المأمون عن رأيه وجرى في طريقه واقتدى به المعتصم حتى اشتهر بهم وملك ثمانية ألاف منهم، وما كان بنو العباس يحومون حولهم اللهم الا ما كان يؤثر عن محمد الأمين من استخدام الخصيان والعبث بهم دون فحول الولدان، ويحكى ان المأمون نظر يوما الى يحيى في مجلسه وهو يحد النظر الى ابن أخيه الواثق وهو اذ ذاك أمرد تأكله العين، فتبسم اليه وقال : ياأبا محمد حوالينا ولا علينا، فقال ياأمير المؤمنين ان الكلب لايأكل النار، وخلا به المأمون ليلة على المطايبة والمداعبة والمجاراة في ميدان الغلمان، ومترف غلام المأمون يستمع عليهما وهو الذي حكى هذه القصة عنه قال : قال له المأمون ياأبا محمد أخبرني عن أظرف غلام مرّ بك؟ قال نعم ياأمير المؤمنين : احتكم اليّ غلام في نهاية الملاحة والظرف واللياقة فأخذته عيني وتعلقه قلبي فلم أفصل الحكم بينه وبين خصمه ايثارا مني للقائه ومعاودته اياي في حكومته، فدخل اليّ على حين خلوة، ومثله لايحجب عني، فلما وصل اليّ قال : أيها القاضي أعدني على خصمي

(١) الثفر بالثاء والتحريك الرجل المأبون

فقلت له ومن يعديني على عينيك يابني ؟ قال شفتي ، وأدناها مني ، فلما شممت الخمر من فيه و بلغت حدا من القبل (١) وقلت له : يابني مابال شفتيك متشققتين ؟ فقال أحلى مايكون التين اذا تشقق ، ثم قلت له و يدي في ثيابه : يابني ما أنحفك ، فقال كلما دق قصب السكر كان أحلى ، فضحك المأمون ووقع له بمائتي دينار ، وقال أوصلها اليه ولو على أجنحة الطير ، وكان اذ ذاك قد التحى وكان يحيى يعرف منزله فامتثل أمره وأوصلها له ، ومما قيل في يحيى

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا ... فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا و يصلح أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وفيه أيضاً

أنطقني الدهر بعد اخراسي ... بحادثات أطلن وسواسي
قاض يرى الحد في الزناء ولا ... يرى على من يلوط من باس
أميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والرأس شر ما راس
ماان أرى الجور ينقضي وعلى الأ ... مة وال من بني العباس

وفيه أيضاً

وكنت ألوم الشيخ فيك ولا أرى ... دم الشيخ ان رام الحرام محرما
فلما رأيت الحسن القى رداءه ... عليك عذرت الشيخ يحيى بن أكثما

ولفرط لواطه نسب الى الأبنة فقيل فيه :

وحربة يحيى على لين رأسها ... اذا وقعت في اللحم لم تخدش
يخشو بها المرد اذ ماخلا ... ومثل مايخشوهم يخشى
ينحط من فوق الى أسفل ... مثل انحطاط الطائر المرعش

(١) جمع قبلة التقبيل

obeikandi.com

Digitized by Google

ويحكى انه دخل يوماً على العباس بن المأمون وهو يلعب بالشطرنج وينشد

ياليت يحيى لم يلده أكثمه ولم تطأ أرض العراق قدمه

أي دواة لم يلقها (١) قلمه ؟

فقال يحيي دواتك أيها الامير ، وسمعه اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يوماً يقض (٢) من جده فقال له ماهذا جزاؤه منك ، قال حين فعل ماذا قال حين أباح المسكر ودرأ الحد عن اللوطيّ

الباب التاسع

فيما ينسب الى العرب

تيجان العرب ، أغربة العرب ، جمرات العرب ، أثافي العرب ، نخوة العرب ، صناجة العرب ، كسرى العرب ، صلاء العرب ، كاهل العرب ، سابق العرب ،

الاستشهاد

تيجان العرب — جاء في الخبر : ان العمائم تيجان العرب فاذا وضعوها وضع الله عزهم ، وكان يقال : اختصت العرب من بين الامم باربع العمائم تيجانها والحجاجيط ثيابها والسيوف سيجانها (٣) والشعر ديوانها

أغربة العرب — وذؤبان العرب سادتها ، وهم أربعة سودان شجعان فمنهم عنترة بن شداد العبسى سري السواد فيه من جهة امه ، وكانت حبشية زنجية تسمى زبيبة ، وفيها قال من وصف رجلا بقلة شرب الشراب

---

(١) لاقت الدواة ولاقها وألاقها صاحبها أي وضع فيها ليقة (٢) ينقص ويحط من قدر جد اسماعيل وهو الامام أبو حنيفة (٣) سيجان جمع ساج الطيلسان

Digitized by Google

ويدعى الشرب في رطل وباطية وام عنترة العبسي تكفيه

ومنهم خفاف بن ندبة السلمي، سرى السواد فيه من قبل امه وبلدته لانه من حرة بني سليم ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكان شاعرا شجاعاً وقلّ مايجتمع الشعر والشجاعة بمولد، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ومعه لواء بني سليم . ومنها السليك بن السلكة وقد تقدم ذكره .ومنهم عبد الله بن حازم السلمي والي خراسان لعبد الله بن الزبير ،ومن عجيب أمره انه كان نهايه في الشجاعة والنجدة ، وكان يخاف الفأر أشد مخافة ، فبينما هو ذات يوم عند عبدالله بن زياد اذ أدخل عليه جرذاً أبيض فتعجب منه، فقال لعبدالله : ياأبا صالح هل رأيت أعجب من هذا؟ واذا عبدالله قد تضاءل كأنه فرخ وأخفق كأنه جناح طائر . فقال عبد الله : أبو صالح يعصي الرحمن ويتهاون بالسلطان ويقبض على الثعبان ويمشي الى الاسد الورد (١) ويلقى الرماح بوجهه والسيوف بيده، وقد اعتراه من جرذ ماترون ؟ أشهد ان الله على كل شيء قدير

جمرات العرب — بنو ضبة وبنو الحارث بن كعب وبنو تميم بن عمر وبنوعبس بن بغيض وبنو يربوع بن حنظلة. قال الخليل :الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم ،لايحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لمقارعة القبائل كما صبرت عبس لفبس كلها

أثافي العرب — قال محمد بن حبيب البصري في الكتاب المحبر ، سليم وهو ازن ابنا منصور بن عكرمة أثفية وغطفان أثفية ومحارب أثفية وهي الأمها

نخوة العرب — لم تزل العرب تتميز عن سائر الامم بالنخوة لما كانت تختص به من السماء والفصاحة والشجاعة حتى ان النعمان بن المنذر ترفع عن مصاهرة

(١) يلقب الاسد الكبير

Digitized by Google

سلطان ابرويز اذ كان من العجم، ولما بعث الله تعالى صفوة خلقه وخاتم رسله منهم ازدادت نخوتهم وصارت مثلا كما قال الشاعر

لؤم النبيط ونخوة العرب

صناجة العرب — كان يقال للاعشى صناجة العرب لكثرة ماغنت اشعره، ويقال بل لانه أول من ذكر الصنج في شعره حيث قال

ومستجيب تخال الصنج تسمعه اذا ترجع فيه القينة الفضل

كسرى العرب — كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ نظر لمعاوية بن أبي سفيان قال :هذا كسرى العرب ،لانه كان يجمع بين سخاء العرب وتأنق ملوك العجم في الرياش والمطعم. ومما يقارب هذا المعنى فصل قرأته للصاحب في ذكر فصل قرأه للامير شمس المعالي قرأت الفصل الذي تجشمته فاذا هو جامع هزة العرب الى عزة العجم وناظم مابين صليل السيف وصرير القلم

صلاء العرب — قال عمر رضي الله عنه: الشمس صلاء العرب ،وكان يقول العربيّ كالبعير حيث مادارت الشمس استقبلها بهامته. ووصف الراجز الابل فقال تستقبل الشمس بجمجماتها

كاهل العرب — قال معاوية للاحنف وحارثة بن قدامة ورجال من بني سعد ، كلاماً أحفظهم (١) فردوا عليه جواباً قبيحاً وابنة قرظة في بيت يقربه تستمع . فلما خرجوا قالت ياأمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الاجلاف كلاماً رموك به فلم تنكره عليهم ، فاردت أن أخرج عليهم فاسطو بهم ، فقال لها معاوية رضي الله عنه : ان مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعد كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد. وشبيه بهذا الكلام في المعنى مايحكى عن جعفر بن سليمان

(١) أي أغضبهم

Digitized by Google

الهاشمي انه كان يقول : العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد . وعن يحيى بن خالد : العرب يكتبون أحسن مايسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويرون أحسن مايحفظون

سابق العرب — عن النبي صلي الله عليه وسلم : انا سابق العرب وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة

الباب العاشر

فيما يضاف الى الاسلام والمسلمين

سهم الاسلام، قبة الاسلام، بيضة الاسلام ، خضاب الاسلام ، فتكة الاسلام ، نطاق الاسلام ، دعوة الاسلام ، عصا المسلمين ، حلوبة المسلمين ، جناح المسلمين

الاستشهاد

سهم الاسلام — كان السلف يقولون في وصاياهم : اذا مررت بقوم فابدأ وارمهم بسهم الاسلام وهو السلام، فقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم دخول المدينة : أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام وصلوا الارحام تدخلوا الجنة بسلام

قبة الاسلام — لما مصر (١) عمر رضي الله عنه البصرة وانتقلت قبائل العرب اليها وكثرت الابنية فيها واشتدت شوكة الاسلام بها ، سميت قبة الاسلام ، ثم لما بنى المنصور بغداد وسماها مدينة الاسلام وصارت دار الخلافة ومصب أموال الدنيا ، قال الناس : هذه الآن أولى بان تسمي قبة الاسلام من البصرة ، فقالوا

(١) مصر البصرة أي عمرها على شكل مدينة كبيرة

obeikandl.com

Digitized by Google

مدينة السلام وقبة الاسلام ، ولما وقعت فتنة الزنج بالبصرة رفع الى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان بسر من رأي(١) ان البصرة قبة الاسلام، وفيها قريش والهاشميون والعرب، وهي على شرف الخراب والذهاب ، فاضجر فقال: وذهبت البصرة فمه(٢) فقيل له: وذهبت أنت فمه ، فكان يصاح به في الطريق فمه، حتى اشتهر بها فهرب من سر من راي ، وذكر بن الموسوي النقيب قبة الاسلام في قصيدة مدح بها الطائع وذكر فيها اباه فقال

لما رآك رأي النبي محمدا في بردة الاجلال والاعظام
ورأى بمجلسك المغرق في العلا حرم الرجاء وقبة الاسلام

بيضة الاسلام — هي على طريقة الاستعارة والتشبيه مجتمعه وحوزته ، ويقال أيضاً البيضة ، وقد قصرت في هذا الكتاب بابا على البيض المنسوب والمضاف

خضاب الاسلام — ذكر أبو عبدالله المرزباني في كتاب « الانوار والثمار » حديثا يرفعه الى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بالحناء فانه خضاب الاسلام . وانه يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه واياكم والسواد فانه من سوّد سود الله وجهه يوم القيامة —

فتكتا الاسلام — كان يقال لفتكة عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد ابن العاص الاشدق فتكة الاسلام ، ثم صارت بفتكة المنصور بابي مسلم فتكتين فهما فتكتا الاسلام ولا ثالث لهما

نطاق الاسلام — هو على طريق الاستعارة انصاره واعوانه، فكأنه يستظهر بهم عند التنطق، وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن تغيير الشيب

(١) سر من رأى بلد بضواحي بغداد (٣) مه اكفف

Digitized by Google

وما روى في ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم : غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ، فقال انما قال ذلك والدين في قلّ ، فاما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل امرئ وما اختار لنفسه

دعوة الاسلام — كانت وليمة الحسن بن سهل حين بنى المأمون ببنته بوران تدعى دعوة الاسلام حتى جاءت دعوة بركوار فقال الناس هي مثلها، وقالوا ان دعوة بركوار دعوة الاسلام لم يكن قبلها ولا بعدها مثلها الا ما يحكى في وقت بناء المأمون ببوران، وبلغ من جلالة دعوة الحسن بن سهل وعظم خطرها وارتفاع مقدارها ان أقام المأمون بفم الصلح(١) وجمع قواده وأصحابه فأمر بانزالهم أربعين يوماً واحتفل بما لم ير مثله نفاسة وكثرة. قال المبرد سمعت الحسن بن رجاء يقول : كنا نطعم أيام مقام المأمون عند الحسن بن سهل ستة وثلاثين ألف ملاح. ولقد عزّ بنا الحطب يوما فاوقدنا تحت القدور الخيش مغموسا في الزيت ولما كانت ليلة البناء وجليت بوران على المأمون فرش لها حصير من ذهب وجيء بمكتل(٢) مرصع بالجواهر فيه درر كبار فنثرت على من حضر من النساء وفيهن زبيدة وحمدونة بنتا الرشيد وعجائز الخلافة فما مس من حضر من الدر شيئاً فقال المأمون شرفن أبا محمد وأكرمن بوران، فمدت كل واحدة منهن يدها فأخذت درة واحدة و بقى سائر الدر يلوح على حصير الذهب. فقال المأمون قاتل الله الحسن بن هانئ كأنه قد رأى هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وكانت في ذلك المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل فضج المأمون من دخانها فعملت له على مثالات من الشمع فكان الليل مدة مقامه فيه كالنهار، ولما كانت

(١) الصلح بالكسر نهر بميسان «٢» المكتل شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا

Digitized by Google

دعوة القواد نثرت عليهم رقاع فيها أسماء ضياع فمن وقعت في يده رقعة ضيعة أشهد الحسن له بها، و يقال انه أنفق في هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار، فلما أراد المأمون ان يصعد أمر له بألف ألف دينار وأقطعه الصلح. وعاتبه على احتفاله واجتهاده وحمله على نفسه، فقال له، يا أمير المؤمنين أتظن هذا من مال سهل؟ والله ماهو الا مالك ردّ اليك وأردت ان يفضل الله أيامك ونكاحك كما فضلك على جميع خلقه. فهذه دعوة الاسلام، وأما دعوة الاسلام الثانية فهي بيركوار لما أعذر المتوكل المعتز. ومن قصتها انه جلس بعد فراغ القواد والاكابر من الاكل ومدت بين يديه مرافع (١) ذهب مرصعة بالجواهر وعليها أمثلة من العنبر والندّ والمسك المعجون على جميع الصور، وجعلت بساطا ممدودا، وأحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب فوضعت بين أيديهم صواني الذهب مرصعة بأنواع الجواهر من الجانبين و بين كل سماطين فرجة، وجاء الفراشون بزنابيل قد غشيت بالادم (٢) مملوءة دراهم ودنانير نصفين فصبت في الفرجة حين ارتفعت على الصواني وأمر الحاضرون ان يشربوا وان يأخذ كل من شرب من تلك الدنانير ثلاث حفنات بقدر ما حملت يده، فكلما خف موضع صب عليه من الزنابيل حتى يرد الى حالته، ووقف غلمان في آخر المجلس فصاحوا: ان أمير المؤمنين يقول لكم ليأخذ من شاء، فمد الناس أيديهم الى المال فاخذوه، فكان الرجل منهم يثقله ما معه فيخرج فيسلمه الى غلمانه ويرجع الى مكانه، ونظر ابن حمدون الى سطل ذهب مملوء مسكا فأخذه ومرّ به ليدفعه الى غلامه، فقال له المتوكل الى أين؟ فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين، ولما تقوض المجلس خلع على الناس ألف خلعة وأعتق ألف نسمة

(١) المرافع جمع مرفع اناء صغير (٢) الادم السواد

Digitized by Google

عصا المسلمين — قال أبو عمرو بن العلاء : من أمثالهم شق فلان عصا المسلمين اذا فرق جمعهم، وشق العصا اذا خرج من الطاعة ،قال جرير

ألا بكرت سلمى فجد بكورها وشق العصا بعد اجتماع أميرها

وقال العتابي في الرشيد

امام له كف بضم بنانها عصا الدين ممنوع من البري عودها

وعين محيط بالبرية طرفها سواء عليه قربها وبعيدها

حلوبة المسلمين — من طريق الاستعارة فيئهم وخراجهم ، يقال درت حلوبة المسلمين اذا جبيت حقوق المال

جناح المسلمين — كان يقال للبريد جناح المسلمين لما كان يتطاير به من الاخبار ،ولماولي الحسن بن وهب بريد الحضرة قال فيه دعبل

من مبلغ عني امام الهدى قافية للستر هتاكه

هذا جناح المسلمين الذي قد قصه تولية الحاكه

أضحت بغال البرد منظومة الى ابن وهب تحمل الناكه

فبلغت المتوكل فأمر بعزله

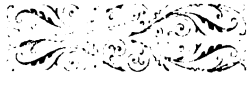

obeikandl.com

Digitized by Google

الباب الحادي عشر

فيما يضاف الى القراء والعلماء

خريطة شهر ، فقه أبي حنيفة ، جامع سفيان، عنز الاعمش، طفرة النظام حاجة أبي الهذيل

الاستشهاد

خريطه شهر — يضرب مثلا فيما يختزله القراء والفقهاء من أموال الناس والودائع، وذلك ان شهر بن حوشب — وكان من جلة القراء والمحدثين - دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم فقال فيه القائل

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

فصارت خريطته مثلا، وشهر هو الذي قال له رجل: اني أحبك، فقال ولم لاتحبني وأنا أخوك في كتاب الله تعالى ووزيرك على دين الله ومؤونتي على غيرك

فقه أبي حنيفة - رحمة الله عليه، يضرب به المثل كما قال بعض الرجاز للمأمون

مأمون ياذا المنن الشريفة والعلم والمنزلة المنيفه
هل لك في أرجوزة ظريفه أظرف من فقه أبي حنيفه

وفيها مما يستظرف

الذئب والنعجة في سقيفه واللص والتاجر في قطيفه

وقال بعض المولدين

منفقه جمع الكلا م الى قياس أبي حنيفه
فأتاك يسعى للقضا ء بلحية فوق القطيفه

وكان يقال: أربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا. أبو حنيفة في فقهه والخليل في أدبه

Digitized by Google

والجاحظ في تأليفه، وأبو تمام في شعره، .وممن ضرب المثل بفقه أبي حنيفة ابن طباطبا حيث قال وهو يهجو أبا علي الرستمي

كفرا بعلمك يا ابن رستم طه ... وبما حفظت سوى الكتاب المنزل
لو كنت يونس في دوائر نحوه ... أو كنت قطرب في الغريب المشكل
وحويت فقه أبي حنيفة كله ... ثم انتهيت لرستم لم تنبل

جامع سفيان — يضرب المثل بجامع سفيان الثوري في الفقه للشيء الجامع لكل شيء كما يضرب بسفينة نوح، وعهدي بأبي بكر الخوارزمي اذا رأى مكاناً جامعاً أو كتاباً قال ماهو الا سفينة نوح وجامع سفيان ومخلط خراسان .وقال أبو عبد الله بن الحجاج

بالله قولوا لي ولا تغضبوا ... لست من الحق بغضبان
فقر وذل وخمول معا ... أحسنت ياجامع سفيان

عنز الاعمش — يضرب مثلا فيمن ينزل منزلة لا يستحقها لغيبة من يصلح لها .وذلك ان الاعمش كان اذا فقد من يحدثه من أصحابه أقبل على عنز له يحدثها كراهة للفراغ وخوفا من النسيان وحرصا على الدراسة والرواية ، فجرى المثل بعنز الاعمش فيما ذكرته وفيمن يخاطب من لا يفهم

طفرة النظام — هي انه كان يقول ،بأن الجسم ينتقل من المكان الاول الى المكان الثالث من غير ان يمر بالمكان الثاني بل بطفرة ،فصارت طفرة النظام مثلا فيمن يقد السير ويقطع المسافة البعيدة في المدة القريبة

حاجة أبي الهذيل — يضرب مثلا للحاجة يسألها الانسان لغيره ويضمر ضد ما يظهر ولا يحب قضاها اما بخلا بجاهه واما لحاجة أخرى في نفسه، وكان أبو الهذيل سار الى سهل بن هارون الكاتب، وكان خاصا بالحسن بن سهل

obeikandl.com

Digitized by Google

يسأله الكلام في أمره ويستعينه على ضائقة دفع اليها، فسار سهل الى الحسن فكلمه وقال له: قد عرفت أيها الامير حال أبي الهذيل ومحله وقدره في الاسلام وانه متكلم قومه والراد على أهل الالحاد وقد فزع اليك لاضاقة هو فيها فوعده ان ينظر له مايصلح حاله، فلما انصرف سهل الى منزلة بعثه لؤم طبعه وسوء خلقه على ان كتب الى الحسن بن سهل

ان الضمير اذا سألتك حاجة ... لابي الهذيل خلاف ما أبدي
فامنعه روح اليأس ثم امدد له ... حبل الرجاء بمخلف الوعد
وألن له كنفا ليحسن ظنه ... في عير منفعة ولا رفد
حتى اذا نالت شقاوة جده ... بعنائه فاجبهه بالرد

فلما قرأ الحسن رقعته وقع فيها هذه لك الويل صفك لاصفتي. وأمر لابي الهذيل بألف دينار. وكان سهل بن هارون بن راهبون الكاتب الميانجي كاتبا شاعرا بليغا حكيما ولكنه كان مفرط البخل بماله وجاهه ضاربا في اللؤم والدناءة بسهم فائز

الباب الثاني عشر

فيما يضاف وينسب لاصحاب المذاهب والاهواء

ايمان المرجئ، وجه الناصبي، خفّ الرافضي، نجدة الخارجي، أكل الصوفي، ظرف الزنديق

الاستشهاد

ايمان المرجئ — يضرب به المثل لما لا يزيد ولا ينقص، لان المرجئة يقولون بان الايمان قول فرد لا يزيد ولا ينقص، فيشبه بايمانهم ما يكون بهذه الصفة

obeikandl.com

Digitized by Google

وجه الناصبي — الشيعة تصفه بالسواد ، ويشبه به كل شديد السواد كما قال الناشئ الاصغر

ياخليلي وصاحبي من لؤيّ بن غالب حاكم الحب جائر موجب غير واجب
لك صدغ كأنما لونه وجه ناصبي يلذع الناس اذ تعق رب لدغ العقارب

وقال أبو الفتح كشاجم

حب عليّ علوّ همه لانه سيد الائمه
ميزّ محبيه هل تراهم الا ذوي ثروة ونعمه
بين رئيس الى ظريف قد أكمل الظرف واستتمه
فهم اذا حصلوا ضياء والعصب الناصبي ظلمه

وأنشد أبو بكر الخوارزمي لنفسه

رب ليلة كطلعة الناصبي ذي نجوم كحجة الشيعي

خفّ الرافضي — يشبه به ما يوصف بالسعة ، ويقال أوسع من خفّ الرافضي ، لانه لا يرى المسح على الخف فيوسع مدخله ليتمكن من ادخال يده فيه ماسحا برجليه اذا توضأ

نجدة الخارجي — قال الجاحظ : قد علمنا ان داعي استفاضة النجدة في جميع أصناف الخوارج وتقدمهم فيها انما هو بسبب الديانة ، لانا نجد عبيدهم ومواليهم ونساءهم يقاتلون مثل قتالهم ، ونجد السجستاني وهو عجمي واليمامي والنجراني والجزري وهم عرب ، ونجد تاهرت وهي بلاد عجم ، كلهم في القتال والنجدة سواء وفي ثبات العزيمة والقوة والشدة متكافئين ، فاستوت حالاتهم في النجدة مع اختلاف أنسابهم وبلدانهم أفما في هذا دليل على ان الذي سوّى بينهم هو التدين بالقتال ؟

أكل الصوفي — يضرب المثل بأكل الصوفية يقال آكل من الصوفية

Digitized by Google

وآكل من الصوفي ،لانهم يدينون بكثرة الاكل ويختصون بعظم اللقم وجودة الهضم ويأكلون أكل الغنيمة. وسئل بعض القراء عنهم فقال :رقصة آكلة. وبلغ من عنايتهم بأمر الاكل وشدة حرصهم على قطع أكثر الاوقات به ان نقش بعضهم على خاتمه — أكلها دائم — ونقش آخر — آتنا غداءنا — ونقش آخر — لاتبقي ولاتذر — وفسر أحدهم الشجرة الملعونة في القرآن فقال : هي الخلال لجيئه بعد انقضاء أمر الطعام ووقوع اليأس منه . وفسر آخر قوله تعالى — ثم ان رجعهم لالى الجحيم : فقال الى المنزل اذا لم يكن دعوة . والى مثل تلك الحال أشار من قال

كأن أبا يحيى يساق الى الموت اذا ما تفرقنا وصرنا الى البيت
لعلم أبي يحيي بما هو سائر اليه اذا أمسى من الخبز والزيت

وفسر بعضهم قوله تعالى — هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا — فقال : هم الذين يردّون ولا يأكلون وغيرهم يأكل، وقال آخر : بل هم الذين لاسكاكين معهم في أيام البطيخ ، وقال بعضهم : العيش فيما بين الخشبتين يعني الخوان والخلال (١) . ولقبوا الطشت والابريق اذا قدما قبل المائدة ببشر وبشير، واذا قدما بعدها بمنكر ونكير ، ولقبوا الحمل (٢) بالشهيد ابن الشهيد والقطايف بقبور الشهداء وكنوز الزهاد وكنوز الزماورد (٣) بأبي جامع، والبهط (٤) بأبي نافع الى أشباه لهذه النقوش والتفاسير والالقاب والكنى الكثيرة جدا

---

(١) الخوان بالكسر كرسى ضينية الطعام والخلال العود الذي يتخلل به
(٢) صغير الضأن (٣) الزماورد بالضم طعام من اللحم والبيض معروف والعامة تقول بزماورد (٤) البهط الرز مع الحليب

Digitized by Google

لايتسع لها هذا الكتاب ، وقد أفصح بعض الظرفاء عن حقيقة وصفهم وجلية حالهم فقال وما قال الا الحق

صحبت قوما يقول قائلهم نحن على ذي الجلال متكله
فالوقت والحال والحقيقة والبرهان والرقص عندهم مسأله
فلم أزل خادماً لهم زمناً حتى تبينت انهم أكله

وأنشدت لأبي القاسم عمر بن عبد الله الهرندي فيهم

تبّالقوم جعلوا ديناً كدنياماً كله
تسـتروا بأنهم صوفيـة مخيله
ومايساوى نسكهم قمامة في مزبله
اتخذوا شباكهم احفاءهم للسبله(١)
وهم اذا فتشتهم منافقون أكله

ظرف الزنديق — أما قولهم أظرف من الزنديق فقد صار مثلا في زمان كثير ظرفاؤه وهو زمان المهدي وكانوا يرمون بالزندقة كصالح بن عبد القدوس وأبي العتاهية وبشار وحماد الراوية وحماد عجرد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد وعلي بن الخليل ومثلهم ، وممن تقدمهم قليل كابن المقفع وابن أبي العوجاء وما منهم في الظاهر الا نظيف البزة جميل الشكل ظاهر المروءة فصيح اللهجة ظريف التفصيل والجملة والله أعلم ببواطنهم وضمائرهم ، قال أبو نواس وكان أيضاً بعد فيهم : تيه مغن وظرف زنديق . وقد كان الجاهل الغر من أهل ذلك العصر يتطفل على الزندقة وينتحلها ليعد من الظرفاء كما قال الشاعر

---

(١) الاحفاء استقصاء الاخذ والسبلة الشارب أي انهم يستقصون الشارب كلما طال قصوه وفي الحديث انه أمر ان تحفي الشوارب وتعفي اللحى

Digitized by Google

تزندق معلناً ليقول قوم من الادباء زنديق ظريف
فقد بقي التزندق فيه وسما وماقيل الظريف ولا الخفيف

قال الجاحظ: وربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له ان الزنادقة ظرفاء وانهم عقلاء وأدباء وانهم عباد وأصحاب اجتهاد وان لهم البصائر في دينهم والبذل لمهجهم وان هناك علما وتمييزا وانصافا وتحصيلا فينزو نحوهم نزو المهر الارن(١) ويحن اليهم حنين الواله العجول ويتصب فيهم صبابة العاشق المتيم ويرى انه متى اتهم بهم فقد قضى له بذلك كله فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه ويرجح عنده ان يزعم انه زنديق

الباب الثالث عشر

فيما يضاف وينسب الى ملوك الجاهلية وغيرهم وخلفاء الاسلام

سيرة ازدشير، عدل انوشروان، رمي بهرام، ايوان كسرى، نديما جذيمة، ظلم الجلندي، شقائق النعمان، خرزات الملك، ردافة الملوك، أخلاق الملوك، دين الملوك، غضب الملوك، دار الملوك، بهاء الملوك، ميدان الخلفاء حسن الأمين، ليلة المتوكل، خلافة ابن المعتز، جوهر الخلافة

الاستشهاد

سيرة ازدشير - من حسن سيرته ان له كتابا في حسن السيرة يضرب المثل به وتقتبس الملوك من أنواره، فمن نكته قوله: اذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة، لاصلاح للخاصة مع فساد العامة ولا نظام للدهماء مع

(١) الهائج

obeikandl.com

Digitized by Google

دولة الغوغاء ، أوحش الاشياء عنـد الملوك رأس صار ذنباً وذنب صار رأساً لاسلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل وحسن سياسة ، ومن كلامه : القتل أنفى للقتل ، وأجل منه في معناه قول الله تعالى — ولكم في القصاص حياة ياأولي الالباب —

عدل انوشروان — لم يكن في الاكاسرة بعد ازدشير الذي له فضيلة السبق أعدل من انوشروان ، ولذلك ضرب المثل به في العدل من بينهم ، وهو الذي ولد النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه لتسع سنين خلت من ملكه وافتخر عليه الصلاة والسلام بذلك فقال : ولدت في زمن الملك العادل ، فأما سائر الأكاسرة فانهم كانوا ظلمة فجرة يستعبدون الأحرار ويجرون الرعايا مجرى الاجراء والعبيد والاماء فلا يقيمون لهم وزناً ويستأثرون عليهم حتى بأطايب الأطعمة والثياب الحسنة والمراكب والنساء الحسان والدور السرية ومحاسن الآداب ، فلا يجترئ أحد من الرعايا ان يطبخ سكباجا ، ويلبس ديباجا ، أو يركب هملاجا ، أو ينكح امرأة حسناء ، أو يبني دارا قوراء (١) أو يؤدب ولده ، أو يمد الى مروءة يده ، وكانوا يبنون أمورهم على معنى قول عمرو بن مسعدة للمأمون — ملك ما يصلح للمولى على العبد حرام — إلا انهم كانوا يحبون العمارة أشد الحب ويرونها قوام الدين والملك ولا يقارّون أحدا على الاخلال بها والتقصير فيها : ويروى ان بعض الانبياء عليهم السلام ، قال يارب لم آتيت الاكاسرة ما أتيتهم ؟ فأوحى اليه : لانهم عمروا بلادي حتى عاش فيها عبادي ومن كلام انوشروان الدال على ماوراءه كل انناس أحقاء بالسجود لله تعالى وأحقهم بذلك من رفعه الله تعالى عن السجود لاحد من خلقه ، وقوله : ان الملك

(١) قوراء الدار الواسعة

Digitized by Google

اذا كثرت أمواله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلع من قواعد بنيانه ، وقوله :وجدنا للعفو من اللذة مالم نجده للعقوبة ، وقوله : الانعام القاح والشكر نتاج

رمي بهرام — يضرب به المثل لانه لم يكن في العجم أرمى منه ،وهو بهرام جور الملك . ومن قصته المصورة في القصور انه خرج ذات يوم الى الصيد على جمل وقد أردف جارية له يتعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية:في أي موضع تريدين أن أضع السهم من هذه الظباء ؟ فقالت أريد ان تشبه ذكرانها بالاناث وأناثها بالذكران ،فرمى ظبياً ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين،ثم سألته ان يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي بقطعة سهم فلما أهوى بيده الى أذنه ليحتك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه، ثم أهوى الى الجارية مع هواه لها فرمى بها الى الارض وأوطأها الجمل، وقال : لشد ما شططت عليّ وأردت اظهار عجزى فلم تلبث ان ماتت

ايوان كسرى — يضرب به المثل للبنيان الرفيع العجيب الصنعة المتناهي الحصانة والوثاقة لانه من عجائب أبنية الدنيا ومن أحسن آثار الملوك ،وهو بالمدائن من بغداد على مرحلة ، بناه كسرى ابرويز في نيف وعشرين سنة ، وتأنق في تأسيسه وتشييده وتحسينه .فلما ارتفع كان من خصائصه الثمان عشرة التي لم يعطها ملك قبله، ويقال: بل بناه انوشروان وهو الذي بنى الباب والايوان أيضا، وانشدني أبو نصر المرزباني لنفسه يذكر ذلك

قلت لما رأيته في قصور ... شرفات الجدران والبنيان
هبك كسرى كسرى الملوك انو ... شروان باني الابواب والايوان

Digitized by Google

أي شكر ترجوه مني اذا لم تقض لي حاجتي وترفع شاني

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ان بانيه سابور ذو الاكناف، ومن وصفه ان طوله مائة ذراع في عرض خمسين ذراعا في سمك مائة ذراع ، وهو متخذ من الآجر الكبار والجص وثخن الازج(١) خمس آجرات ، وطول الشرف خمسة عشر ذراعا. ولما بنى المنصور مدينة السلام أحب ان ينقض ايوان كسرى ويبني بنقضه الابنية ، فاستشار خالد بن برمك في ذلك فنهاه عن نقضه ، وقال ياأمير المؤمنين انه آية الاسلام واذا رآه الناس علموا ان من هذا بناؤه لايزيل أمره الا الانبياء وهو مع هذا مصلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه والمؤنة في هدمه ونقضه أكثر من الارتفاق به ، فقال المنصور أبيت ياخالد الا ميلا الى العجم، ثم أمر بهدمه فهدمت منه ثلمة(٢) فبلغت النفقة عليها مالا كثيرا فأمر بالاضراب عن هدمه ، وقال ياخالد قد صرنا الى رأيك فيه ، فقال انا الآن أشين قال وكيف ؟ قال لئلا يتحدث الناس بانك عجزت عن هدمه : فلم يقبل قوله وتركه على حاله . فكان المأمون يقول : قد حبب الي هذا الخبر أن لا أبني الابناء جليلا يصعب هدمه ، قال الجاحظ قال قاسم التمار: رأيت ايوان كسرى كأنما رفعت عنه الايدي أول أمس ، قال المبرد تذاكر حذيفة بن اليمان وسلمان أمر الدنيا ، فقال سلمان : ومن أعجب مما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي سرير كسرى. وكان اعرابي من غامد يرعى شويهات له فاذا كان الليل صيرها الى عرصة ايوان كسرى وفي العرصة سرير رخام فتصعد غنيماته الى ذلك السرير وكان كسرى كثيرا مايجلس على ذلك السرير . وممن ضرب المثل بايوان كسرى ابن الرومي في قوله وهو يهجو

(١) الازج الحائط المبنية طولا (٢) الثلمة في الحائط وغيره الخلل

Digitized by Google

كان للكركند قرن فاضحي وهو اليوم عند قرنك يزري
من يكن قرنه كقرنك هذا فليكن بابه كايوان كسرى

وممن وصفه البحتري في قصيدته التي منها

حضرت رحلي الهموم فوجهت الى أبيض المدائن عيسي
وكأن الايوان من عجب الصنعة حوت في جنب أرعن موسي
لم يعبه ان ابتز من بسط الديباج واستل من ستور الدمقس
مشمخرا تعلو له شرفات رفعت في رؤس رضوى وقدس
ليس يدري أصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لانس
غير اني أراه يشهد ان لم يك بانيه في الملوك بنكس

نديما جذيمة — يضرب بهما المثل في طول الصحبة كما يضرب بالفرقدين وابني شمام (١) ونخلتي حلوان . وكان جذيمة الوضاح الملك لاينادم أحدا ذهابا بنفسه ، وكان يقول أنا أعظم من ان أنادم الا الفرقدين ، وكان يشرب كأساً و يصب لكل منهما كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل ابن أخته عمرو صاحب الطوق الذي استهوته الجن ، قال لهما ما حاجتكما ؟ قالا منادمتك ، فنادمهما أربعين سنة كانا يحادثانه وما أعادا عليه حديثاً قط حتى فرق بينهما الدهر ، وفيهما يقول الشاعر

ألم تعلما ان قد تفرق قبلنا نديما صفاء مالك وعقيل

ويقول متمم بن نويرة في أخيه مالك وهو من الامثال السائرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١) وابنا شمام بفتح الشين جبلان في ديار بني تميم

Digitized by Google

ظلم الجلندي — هو الملك الذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال — وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا — فجرى المثل لاسيما على ألسنة أهل عمان بظلمه ، فقالوا أظلم من الجلندي

شقائق النعمان — يحكى ان النعمان بن المنذر خرج يوما الى ظهر الحيرة متنزها وقد أخذت الارض زخرفها وازينت بالشقائق فاستحسنها وقال: احموها فحميت وسميت شقائق النعمان في النسبة اليه ، وقال بعض أهل اللغة : النعمان من أسماء الدم نسبت الشقائق اليه تشبيها به كما قال الشاعر

كأن شقائق النعمان فيها ثياب قد روين من الدماء

خرزات الملك — كان الملك من ملوك العرب كلما مضت سنة من سني ملكه زيدت في تاجه خرزة ، وكان يقال لتلك الخرزات خرزات الملك ، ولما بلغت خرزات النعمان بن المنذر أربعين أشخصه كسرى ابرويز الى حضرته لهنات نقمها عليه ثم أمر بقتله ، واياه عني لبيد بن ربيعة بقوله

رعى خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتى قيدو الشيب شامل

ردافة الملوك — كانت من العرب في بني عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع فورثها بنوهم كابرا عن كابر حتى قام الاسلام وهي ان يثني بصاحبها الشراب وان غاب الملك خلفه في المجلس ، ويقال ان ارداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الاسلام ، والردافة كالوزارة ، قال لبيد من قصيدة

وشهدت أنجية الافاقة عاليا كعبي وارداف الملوك شهودي

أخلاق الملوك — توصف بالتلون والتغير لان الملوك لهم بدوات (١) وقد شبه بها يوما من أيام الربيع من قال

(١) بدوات أي آراء وأحوال

ويوم كاخلاق الملوك ملوّن فشمس وروض ثم ظل ووابل
أشبهه اياك يامن صفاته دنوّ واعراض ومنع ونائل

وأحسن منه في معناه قول علي بن الجهم

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله صحو وغيم وابراق وارعاد
كانه أنت يامن لست أذكره وصل وهجر وتقريب وابعاد

دين الملوك - كان المأمون يقول : الا رجاء دين الملوك ، وهو الذي ينسب اليه مذاهب المرجئة الذين يتركون القطع على أهل الكبائر اذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو عفو ، ويقولون بارجاء أمرهم والحكم عليهم ، وهم جميعاً سوى الحشو الطغام منهم يقولون : ان الله تعالى ان عفا عن واحد فمن هو في مثل حاله ، وان الله تعالى لا يخلد أحدا من أهل التوحيد في النار بارتكاب الكبائر ، وانه ان أدخلهم النار عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم

داء الملوك - قد نزههم الله ورفع اقدارهم عما يرميهم به العامة وتنسبه اليهم من الداء الذي لادواء له الا بعصمة الله تعالى ، وكأنها اعتقدت ان ذلك ربما يتولد من فرط الترفه والتنعم ، فاضافته اليهم لتخصيصه بهم قال الشاعر

داء الملوك يلوح فوق جبينه شهدت بذاك مواضع التحذيق

وقال أبو نصر الطريقي الابيوردي

قد ردنا اسحاق عن بابه فلم يكن لنا فيه من سلوك
وقال بي داء وعهدي به كالشمس من قبل أوان الدلوك
وليس ذاك الداء من دائنا لكن ذاك الداء داء الملوك

وقال آخر

أحمد الله حمد شاكر نعما ه ولا أشتكي صروف الزمان

Digitized by Google

ان عراني داء الكرام من الد ين فداء الملوك مما عداني

وقال آخر

ما حيلتي والدهر يجفوني وهو على الحر غير مأمون
والدين داء الكرام أنحلني وليس داء الكرام بالدون
أحمد ربي الكريم حمد فتى في كدر العيش غير مغبون
ان كان داء الكرام يعروني فان داء الملوك يعدوني

غضب الملوك — كان يقال: اتقوا غضب الملوك ومدّ البحر، ومن غرر مدائح بكر بن النظام في أبي دلف قوله

ومقسم بين القواضب والقنا غضب الملوك ونية العباد
فاذا أبو دلف أمدّ بذكره جيشا كفاه مؤنة الامداد

بهاء الملوك — وصف اعرابي الحسن البصري فقال: بهاء الملوك وسيما العباد

وفي معناه قال الاخطل لعبد الملك بن مروان

تسمو العيون الى امام عادل معطي المهابة نافع ضرار
ويرى عليه اذا العيون رمقنه سيما التقيّ وهيبة الجبار

وأخذه البحتري فقال في المهدي بالله

ملك تحييه الملوك وفوقه سيما التقى وتخشع الزهاد
متهجد يخفي الصلاة وقد أبى اخفاءها أثر السجود البادي

ميدان الخلفاء — هو عند أصحاب الاخبار عشرون سنة الى أربع وعشرين وهي دوران المشترى، فكأنها كناية عن أتم مدة للخلافة فمن بلغت مدة خلافته عشرين سنة الى اثنتين وعشرين سنة معاوية وعبد الملك وهشام والمنصور والمأمون والمعتمد، ولم يستكمل الاربع والعشرين غير الرشيد والمقتدر. حدث

Digitized by Google

أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال : كنا وقوفاً على باب الفضل ابن الربيع وهو عليل في آخر أيام الرشيد اذ اقبل الرشيد عائداً له، فقال له عبد الملك بن هلال: الحمد لله يأمير المؤمنين اذ خصك بطول البقاء وأجازك ميدان الخلفاء ، فتغير وجه الرشيد ودخل فخرج بعقب ذلك القاسم بن الربيع يشتم عبد الملك بن هلال ويقول له: من أخذك أن تذكر لأمير المؤمنين مامضى من مدة خلافته؟ والله ليعيشن بعدها أربعين سنة ، فماعاش بعدها الا أقل من سنة ،قال محمد بن عباد: وكان محمد بن عبد الرحمن السكوني واقفاً معنا فاقبل عليّ يحدثني بنحو هذا الحديث ،وذلك ان المنصور انصرف من صلاة الفطر سنة ثمان وخمسين ومائة فجلس وهناه الناس ودعوا له، فقال عقال بن شيبة وقد وضعت الموائد والمنصور يأكل- أحمد الله يأمير المؤمنين فقد جزت ميدان الخلفاء قبلك فقبض المنصور يده عن الطعام وقال : كبرت والله ياعقال وكبر كلامك، ففطن عقال لذلك وتلافى أمره وقال : أجل والله ياأمير المؤمنين لقد أحزن سهلي واضطرب عقلي وانكره أهلي ولا أقوم والله هذا المقام بعد يومي، فسكن قوله هذا من المنصور ولم يعش بعد ذلك الا شهرين وأياماً. قال مؤلف الكتاب: مثل قول عبد الملك بن هلال للرشيد وعقال بن شيبة للمنصور سوء أدب في مخاطبة الملوك والكبراء لان فيه نعياً لهم الى أنفسهم وانذارا اياهم لمجيء آجالهم. وحدثني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشد أبو العباس الارسجي الامير نصر بن احمد ليلة السذق (١) الحادي والثلاثين من الاسذاق التي أقام رسومها قصيده أولها

مهترا يار خذايا ملك بغداذا سبدسي ويكم برتو مبارك باذا

فقطب نصر وجهه وذوى مابين عينيه وقال : أين شمرون ني جه بايست

(١) السذق محركة ليلة الوقود معربه شذا

obeikandl.com

Digitized by Google

وتنغص بتلك الليلة ولم يسمع تمام القصيدة ولم يسذق بعدها اي لم يدر عليه الحول حتى مات

حسن الامين كان يقال لكل من محمد الامين واخيه أبي عيسى يوسف الزمان لفرط جمالهما، ويقال ان جمال ولد الخلافة انتهى اليهما فما رأى الناس مثلهما قط الا المعتز بعدهما، وفي احدهما يقول أبو نواس

أصبحت صبا ولا أقول بمن أخاف من لايخاف من أحد
اذا تفكرت في هواي له مسست رأسي هل طار عن جسدي

ويحكى أن الامير نظر الى أبي نواس في بعض ليالي منادمته اياه وهو ينظر اليه نظرة ذي علق، فقال له : ياحسن هل تشتهيني؟ فقال معاذ الله ومن يحدث نفسه بمثل ذلك؟ فقال أقسمت عليك بحياتي الا أخبرتني؟ فقال ياسيدي ان الاموات يشتهونك فكيف الاحياء؟ فأمر بقتله، فلما جيء بالنطع والسيف أنشد أبو نواس يقول

أميري غير منسوب الى شيء من الحيف
سقاني مثل مايشرب فعل الضعيف بالضيف
فلما دارت الكاس دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الماء مع التنين في الصيف

فامر باعفائه ووصله، ويقال ان صاحب هذه القضية هو أبو عيسى العباس

ويروى ان رجلا حدّق النظر الى الامين فهم به بعض الخدم فقال بعض الحاضرين : لاتلمه على النظر الى زينة الله تعالى في عباده . وكان الرشيد يقول للمأمون : ياعبد الله أحب المحاسن كلها لك حتى لو أمكنني ان أجعل وجه أبي عيسى لك لفعلت . وقال يوماً لابي عيسى وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله

Digitized by Google

— يعني المأمون - فقال على أن حظه منك لي. فعجب من قوة جوابه على صباه وضمه اليه وقبله ، وقرأت رسالة لاسحاق الصابي لاأذكرها وقد ضرب المثل فيه بحسن وجه الامين وغناء ابراهيم المهدي وبلاغة جعفر بن يحيى وحفظ الاصمعي وطيب عشرة بن حمدون وشعر البحتري . وقال أبو الحسن الموسوي من قصيدة يمدح بها الطائع لله

واذا أمير المؤمنين أضاف لي أملي نزلت على الجواد المفضل
رأي الرشيد وهيبة المنصور في حسن الامين ونغمة المتوكل

وقال أبو عبدالله المغلسي من قصيدة

راحة تخجل السحاب ووجه يتلألأ أشراقه كالصباح
ما جمال الامين ما كرم المه دي ما أريحية السفاح

ومثل هذا التمثيل قول الرشيد في المأمون : والله اني لاعرف في عبدالله حزم المنصور ونسك المهدي وعزة نفس الهادي ولو شئت أن اشبهه في الرابعة بنفسي لفعلت ، والله اني لأرضى سيرته واحمد طريقته واستحسن سياسته وأرى قوته وذهنه وآمن ضعفه ووهنه،ولولا ام جعفر وميل بني هاشم الى محمد لقدمت عبدالله عليه. وكان المكتفي أيضاً موصوفاً بالجمال وبه ضرب المثل عبد الله ابن المعتز

والله ما كلته ولو انه كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفى
قايست بين جماله وفعاله فاذا الملاحة بالخيانة لا تفى

ليلة المتوكل — هي الليلة التي قتل فيها . وكانت ثلمة الاسلام وعنوان سقوط الهيبة وتاريخ تراجع الخلافة. وكانت ليلة الاربعاء لثلاث خلت من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قتله باغر التركي بمواطأة المنتصر في مجلس

obeikandl.com

Digitized by Google

أنسه وقد أحدق به الندماء والمطربون ودارت الكؤوس وطابت النفوس، فانقلب مجلس اللهو والطرب الى مجلس الويل والحرب، وأكثر الشعراء في وصف هذه الوقعة فمنهم احمد بن ابراهيم الاسديّ يقول من قصيدة

هكذا فلتكن منايا الكرام　　بين ناي ومزهر ومدام
بين كاسين أروتاه جميعاً　　كاس لذاته وكاس الحمام

ومنهم البحتري شهد القتل فقال من قصيدة

لنعم الدم المسفوح ليلة جعفر　　هرقتم وجنح الليل سود دياجره
كان وليّ العهد أضمر غدره　　فمن عجب ان ولي العهد غادره
فلا ملي الباقي تراث الذي مضى　　ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وممن ضرب المثل بليلة المتوكل أبو القاسم الزعفراني حيث قال من قصيدة في فخر الدولة

قد اتمت الدنيا أزمتها الى　　ملك الملوك عليّ بن أبي علي
فاطرب سروراً بالزمان وحسنه　　واشرب على اقبال دولة مقبل
كم آمن متحصن في جوسق　　قد بات منه بليلة المتوكل

خلافة بن المعتز يضرب مثلا فيما لاتطول مدته ويسرع انقضاؤه، لانه ولي الخلافة يوما وبعض يوم وادركته حرفة الادب فلم يلبث أمره ان انحل في اليوم الثاني. وقد كان بايعه أكثر الناس وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين، ولقب بالمنتصف بالله. فكان أول ما تكلم به قد حان للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح. وجرت عليه اتفاقات سوء منها أن مونس الحاجب في دار المقتدر كان بايع بن المعتز على ان يكون حاجبه وواطأه على ان ينفذ اليه أمر المقتدر وصافيا الحرمي فباعه أن يمنا غلام المكتفي يذهب

obeikandl.com

Digitized by Google

ويجيء قدام بن المعتز كالحاجب له وكان عدوا له يناوئه فرجع عن رأيه وعزمه في أمر بن المعتز وأخذ في احكام أمر المقتدر ،وأحضر غلمان الدار ووعدهم الزيادة في أرزاقهم، فلما أصبح بن المعتز وأراد الركوب الى دار الخلافة قال له وزيره محمد بن داود بن الجراح: تنتظر قليلا الى أن تنفض الطريق من عامة تعرضت فيه ، فقال له بن المعتز :أهم معنا أم علينا؟ فقال ليسوا معنا،قال ابن المعتز: ليس يومي بواحد من ظلوم .يريد ان أهل بغداد كانوا مع المستعين على ابن المعتز وهم الآن مع المقتدر عليه . ثم جدّ في الركوب فقدم امامه الجيش الى الشارع فلقيهم غلمان المقتدر والحشم فرموهم ومنعوهم من النفوذ وانكب العامة عليهم بالرجم فلم يجدوا مخلصاً ولا مسلكا. وبعث المقتدر بشذوات(١)وطيارات فيها غلمان ومعهم خاله غريب فتصاعدوا فلما قاربوا الدار التي فيها ابن المعتز ومعهم المطارد ضجوا وكبروا وكبرت العامة حول الدار فجعل الناس يتسللون لواذا (٢) ويرمون أنفسهم في السميريات(٣)وهرب ابن المعتز وكان متلثما فعرفه خادم لابن الجصاص الجوهري وسعى به حتى أخذ وحدر في طيار الى باب الخاصة ، قال الصولي : فوقفت حتى رأيته من حيث لم يرني وقد أخرج من الطيار حافياً وعليه غلالة قصب فوقها مبطنة بملحم خراساني يضرب الى الصفرة قليلا وعلى رأسه مجلسية . فلما صار الى مونس الحاجب لطمه لطمة فانكب على وجهه وادخل الحبس فمات بل اميت بعد أيام ولم يقدر أحد على رثائه سوى ابن بسام فانه قال

لله درك من ميت بمضيعة ... ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه ... وانما أدركته حرفة الادب

(١) الشذوات السفن الصغار (٢) لواذ وملاوزة من لاوز القوم أي لاز بعضهم ببعض ومنه قوله تعالى ـ يتسللون منكم لواذا (٣) السميريات جمع سميرية نوع من السفن

Digitized by Google

وقال ابن علاف الهزواني قصيدة في رثاء هرّ ورّى بها عن ابن المعتز فقضى وطرا من حيث لم تلزمه حجة أولها

ياهرّ فارقتنا ولم تعد ... وكنت منا بمنزل الولد
فكيف تحلّ عن هواك وقد ... كنت لنا عقدة من العقد

ومنها

يا من لذيذ الفراخ أوقعه ... ويحك هلا قنعت بالغدد(١)
أطعمك الغيّ لحمها فرأى ... قتلك أربابها من الرشد
أم تخف وثبة الزمان كما ... وثبت في البرج وثبة الاسد
تدخل برج الحمام متئدا ... وتخرج الفرخ غير متئد
وتطرح الريش في الطريق لهم ... وتبلع اللحم بلع مزدرد
وكان قلبي عليك مرتعدا ... وكنت تنساب غير مرتعد
عاقبة الظلم لاتنام وان ... تأخرت مدة من المدد
لا بارك الله في الطعام اذا ... كان هلاك النفوس في المعد
كم أكلة خامرت حشا بطل ... فاخرجت روحه من الجسد
ما كان أغناك عن تسورك الب ... رج ولو كان جنة الخلد

ومنها

ثم شفوا بالحديد أنفسهم ... منك ولم يربعوا على أحد
كأنهم يذبحون طاغية ... كانوا لطاغوتها من العبد(٢)
لم يرحموا صوتك الضعيف كما ... لم ترث منها لصوتها الغرد(٣)

(١) الغدد التي في اللحم (٢) عبد بضمتين جمع عبد (٣) الغرد بفتحتين التطريب في الصوت

obeikandl.com

Digitized by Google

اذاقك الموت من أذاق كما ... أذقت أطياره يدا بيد
كأن حبلا حوى بجودته ... جيدك المذبح كان من مسد
كأن عيني تراك مضطربا ... فيه وفي فيك رغوة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم ... تقدر على حيلة ولم تجد
فاذهب من البيت خير مفتقد ... واذهب من البرج شر مفتقد

ومنها

حتى اعتقدت الاذى لحيرتنا ... ولم تكن للاذى بمعتقد
وحمت حول الردى بظلمهم ... ومن يحم حول حوضه يرد

ومنها

ان الزمان استقاد منك ومن ... يسلم لغير الزمان يستقد(١)
فان رماك الردى بحادثة ... فما على الحادثات من قود

ومنها

من لم يمت يومه يمت غده ... أو لم يمت في غد فبعد غد

جوهر الخلافة - كانت جواهر الاكاسرة وغيرهم من الملوك صارت الى خلفاء بني أمية ثم صارت الى السفاح ثم الي المنصور فاتخذها عدة الخلافة، وفيها كل فص ثمين وعقد نفيس. واشترى الربيع جوهرا بألف ألف دينار وضمه الى جوهر الخلافة، ثم اشترى المهدي الفص المعروف بالجبل بثلثمائة ألف دينار وضمه الى جوهر الخلافة، ولم يزل هو والخلفاء بعده يحفظونه ويزيدون فيه مايقدرون عليه ويجلب اليهم من الآفاق، وأفضت الخلافة الى المقتدر وفي خزانته من

(١) استقاد استجر قاد واستقاد واحد وغير الزمان بكسر الغين والزاء جمع غيرة

Digitized by Google

الجوهر مالا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه المعروف بالمنقاد وقيمته مالا يقدر قدره والمعروف بالبحرة والدرة اليتيمة وهي هي وزعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل فتبسط (١) فيه المقتدر وقسم بعضه على الحرم ووهب بعضه لصافي الحرمي ووجه الى وزيره العباس بن الحسن منه شيئا كثيرا فرده العباس اليه يعلمه ان هذا الجوهر زينة الاسلام وعدة الخلافة وانه لا يصلح ان يفرق ، فكان ذلك أول ثقله على قلبه وكانت زيدان القهرمانة ممكنة من خزانة الجوهر فاتخذت سبحة لم ير مثلها ويضرب بها المثل في الارتفاع والنفاسه . فيقال سبحة زيدان كما يقال أشقر مروان وجامع سفيان وعود بنان ، وقد ذكرتها في باب الحلى من هذا الكتاب . ولما ورد علي ابن عيسى من مكة الى الوزارة قال للمقتدر بعد كلام جرى بينهما ، ما فعلت بسبحة جوهر قيمتها ثلاثون ألف دينار أخذت من ابن الجصاص ؟ قال هي في الخزانة فقال ان رأي سيدنا ان يأمر بطلبها ؟ فطلبت فلم توجد ؟ فاخرجها من كمه . وقال قد عرضت علي بمصر فعرفتها فاشتريتها ، فاذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ فما الذي يحفظ ؟ فاشتد ذلك على المقتدر وعلى السيدة واتهمت بالسبحة زيدان . وقيل ليس من يصل الى خزانة الجوهر غيرها . ثم أفضت الخلافة الى القاهر ثم الى الراضي وقد امتدت الى جوهر الخلافة أيدي الخونة وأتى عليه سوء السياسة فلم يبق منه شيء فكأنه ذهب مع ذهاب الخلافة وتلاشى بتلاشي الملك

(١) تبسط توسع

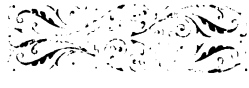

Digitized by Google

الباب الرابع عشر

فيما يضاف وينسب الى الكتاب والوزراء ومن يجري مجراهم في الدولة العباسية

بلاغة عبد الحميد، يتيمة بن المقفع، دهن أبي أيوب، تيه عمارة، زمن البرامكة، جود الفضل بن يحيى، بلاغة جعفر، عام بن عمار، فالج بن أبي دؤاد، ضرطة وهب، خط ابن مقلة، مروءة ابن الفرات

الاستشهاد

بلاغة عبد الحميد — هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى العلاء بن وهب العامري. روى الميداني انه كان معلماً ثم بلغ من البلاغة مبلغاً يضرب به المثل كما قال البحتري لمحمد بن عبد الملك

وتفننت في البلاغة حتى عطل الناس فن عبد الحميد

وقال ابن الرومي لابي الصقر

لو ان عبد الحميد اليوم شاهده لكان بين يديه مذعناً وسنا

وقال عمرو بن عثمان بن اسفنديار الكاتب

وصديق رقيق حاشية الحلـ سة(١) صافي زجاجة الآداب

شغلته الرقاع منه اليه فدعا نفسه الى الأصحاب

وهو في الحذق والبلاغة في الـ تطفيل عبد الحميد في الكتاب

---

(١) الخلس بفتحتين كساء يبسط تحت حر الثياب وفي الحديث — كن حلس بيتك — أي لا تبرح وهو هنا كناية عن الوهن

obeikandl.com

Digitized by Google

وقال أبو اسحاق الصابي من قصيدة

أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول در عنكم منضود
ورسائلا نفذت الى اطرافكم عبد الحميد بهن غير حميد

ويقال: ان عبد الحميد أول من نهج طرق الكتابة وبسط من باع البلاغة وشنف الرسائل وقرظها ولخص فصولها وخلصها. وكان مروان بن محمد يستكتبه ويكرمه ويقدمه ولا يرى الدنيا الا به، وكان عبد الحميد يقول: اكرموا الكتاب. فان الله تعالى أجرى أرزاق الخلق على أيديهم، وكان يقول: ان كان الوحي ينزل على أحد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب، ومن غرر كلامه: القلم شجرة ثمرها الالفاظ، والفكر لؤلؤة الحكمة. وقيل له ما الذي خرّجك في البلاغة؟ فقال حفظ كلام الاصلع - يعني علي بن أبي طالب رضى الله عنه - وكان ابراهيم بن العباس الصولي يقول: ما تمنيت كلام أحد ان يكون لي الا كلام عبد الحميد حيث يقول في رسالة له - الناس أصناف مختلفون وأطوار متباينون فمنهم علق مضنة (١) لا يباع ومنهم غل طنة (٢) لا يبتاع. ويروى انه مرّ بابراهيم بن جبلة وهو يكتب خطا رديئا فقال: أتحب ان يجود خطك؟ قال نعم، قال أطل جلفة قلمك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها، قال: ففعلت ذلك فجاد خطي. وساير عبد الحميد يوما مروان على دابة قد طالت مدتها في ملكه، فقال له مروان: قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدابة طول صحتها وقلة علتها، قال فكيف سيرها؟ قال همها امامها وسوطها عنانها وما ضربت قط الا ظلما. وقد حكي ان عبد الله ابن طاهر خاطب المأمون في دابة رآها تحته بهذا الخطاب بعينه، وقد يجوز ان يكون حكى كلام عبد الحميد. ويحكى ان عاملا لمروان أهدى اليه غلاماً أسود

(١) علق مضنة أي نفيس ينبغي ان يضن به (٢) غل طنة أي آخذ بالسماع

فقال لعبد الحميد اكتب اليه وذم فعله في هديته وأوجز ، فكتب اليه لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته - وكتب الى أهله وأقاربه عند هزيمة مروان كتاباً قال في فصل منه وهو يشكو الدنيا باعدتنا عن الاوطان وفرقت بيننا وبين الاخوان ولما أيس مروان من ملكه قال لعبد الحميد ان الامر زائل عنا وهؤلاء القوم — يعني بني العباس — يضطرون اليك فصر اليهم فاني أرجو ان تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أموري ، فقال وكيف لي والناس جميعا يعلمون ان هذا عن رأيك وكلهم يقول اني غدرت بك وصرت الى عدوك ، ثم أنشد

وذنبي ظاهر لاشك فيه لمبصره وعذري بالمغيب

ولما زال أمر مروان أتي المنصور بخواص مروان وفيهم عبد الحميد والبعلبكي المؤذن وسلام الحادي فهم بقتلهم جميعا ، فقال سلام - استبقني يا أمير المؤمنين فاني أحسن الحداء ، قال : وما بلغ من حدائك ؟ قال تعمد الى ابل فتظمئها ثلاثة أيام ثم توردها الماء فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدع الشرب ثم لاتشرب حتى اسكت ، فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الامر كما قال ، فاستبقاه وأجازه واجرى عليه . وقال له البعلبكي استبقني يا أمير المؤمنين فاني مؤذن منقطع القرين ، قال : وما بلغ من أذانك ؟ قال تأمر جارية فتقدم اليك طستا وتأخذ بيدها ابريقا وتصب الماء على يدك فأبتدىء بالاذان فتدهش ويذهب عقلها اذا سمعت أذاني حتى تلقى الابريق من يدها وهي لاتعلم ، فامر المنصور جارية ففعلت ذلك وأخذ البعلبكي الاذان فكانت حالها كما وصف ، وقال عبد الحميد يا أمير المؤمنين استبقني فاني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة ، فقال ما عرفني بك !! أنت الذي فعلت بنا الافاعيل وعملت لنا

obeikandl.com

Digitized by Google

الدواهي ،وأمر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . ويروي انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحمي له طستا ويضعه على بطنه حتى قتله

يتيمة بن المقفع — يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة تشبيهها وهي رسالة في نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الآداب .فمنها هذا الفصل في ذكر السلطان — مثل قليل مضارّ السلطان في جنب كثير منافعه كمثل الغيث الذي هو سقيا الله وبركة السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به السفر (١) ويتداعى له البنيان وتدر سيوله فيهلك الناس والدواب ويموج له البحر وتكون فيه الصواعق فلا يمتنع الناس اذا نظروا الى آثار رحمة الله في الارض التي أحياها لهم والنبات الذي أخرجه والرزق الذي بسطه عن ان يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلقنوا ذكر خواصّ البلايا التي دخلت على خواص الخلق وكمثل الرياح التي يرسلها الله بشرى بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للاشجار وروحا للعباد اذ يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري مياههم وفلكهم وتقد نيرانهم بها وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم فيشكوها الشاكي ويتأذى بها المتأذى فلا يزيلها ذلك عن نزلها التي جعلها الله به وقدرها سبباً لقوام عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف والليل والنهار وما فيهما من قليل المضار وكثير المنافع ولو ان الدنيا كانت كلها سراء وكانت نعماؤها من غير كدّ وميسورها من غير معسور كانت الدنيا اذن هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه . وقد ذكر أبو تمام يتيمة ابن المقفع واجراها مثلا في قوله للحسن بن وهب

ولقد شهدتك والكلام لآلئ ... صرف فبكر في النظام وثيب
فكأن قساً في عكاظ يخطب ... وكأن ليلى الاخيلية تندب

(١) السفر والسفار جمع سافر

وكثير عزة يوم بين ينسب وابن المقفع في اليتيمة يسهب

دهن أبي أيوب — كان لابي أيوب المرزباني وزير المنصور دهن طيب الريح يدّهن به اذا ركب الى المنصور ، فكان الناس اذا رأوا غلبته على المنصور وطاعة المنصور له فيما يريده يقولون : دهن ابي أيوب من عمل السحرة. الى ان ضربوا به المثل فقالوا للذي يغلب على الانسان: معه دهن أبي أيوب

تيه عمارة — هو عمارة بن حمزة بن ميمون مولى بني العباس . وكان سخياً سرياً جليل القدر رفيع النفس تياهاً ، وكان خاصاً بالمنصور وقبله بالسفاح يتولى لهما الدواوين ، وكان المثل يضرب بتيهه فيقال : أتيه من عمارة ، قال ميمون بن بهران حدثني من اثق به: ان عمارة كان من تيهه اذا أخطأ يمضي على خطئه تكبراً عن الرجوع، ويقول : نقض وابرام في ساعة واحدة ؛ الخطأ أهون من هذا ، وكان السفاح يعرفه بالكبر وعلوّ القدر وشدة النزه : فجرى بينه وبين ام سلمة المخزومية امرأته في بعض الليالي كلام فاخرته فيه باهلها ، فقال لها السفاح : انا أحضر لك الساعة على غير أهبة مولى من مواليّ ليس في أهلك مثله ، ثم أمر باحضار عمارة على الحال التي يوجد عليها. فلما أتاه الرسول وجاء به الى السفاح وام سلمة خلف الستر ، اذا بعمارة في ثياب ممسكة وقد غلف(١) لحيته حتى قامت ، فقال : ياأمير المؤمنين ما كنت أحب أن تراني على هذه الحالة ، فرمى السفاح اليه بمدهن ذهب كان بين يديه فيه غالية(٢) فقال : ياأمير المؤمنين هل ترى في لحيتي موضعاً لها ؟ فاخرجت ام سلمة اليه عقداً له قيمة جليلة وقالت للخادم : أخبره اني اهديته له فاخذه ووضعه بين يديه وشكر للسفاح ودعا له وترك العقد ونهض ، فقالت ام

(١) غلف لحيته جعلها في غلاف (٢) الغالية ضرب من الطيب قيل أول من سماها به سليمان بن عبدالله

Digitized by Google

سلمة للسفاح : قد انسيه ، فقال السفاح للخادم : الحقه به وقل له هذا لك فلم خلفته ؟ فاتبعه الخادم به ، فلما وصل اليه قال : ماهولي ، فلما أدّى اليه الرسالة قال : ان كنت صادقاً فهو لك ، فانصرف الخادم بالعقد وعرف السفاح بما جرى وامتنع من رده على ام سلمة ، وقال لها قد وهبه لي ، فلم تزل به حتى ابتاعته منه بعشرة آلاف دينار وأكثرت التعجب من كبر نفس عمارة . وأراد المنصور يوماً أن يعبث به فخرج عمارة من عنده فأمر المنصور الخدم أن يقطعوا حمائل سيفه لينظر أيأخذه أم لا ، ففعلوا ذلك وسقط السيف ، فمضى عمارة لوجهه ولم يلتفت اليه . وكان يوماً يماشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده ، فقال له رجل : من هذا أيها الامير ؟ فقال أخي وابن عمي عمارة بن حمزة ، فلما ولّى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالممازح له ، فقال له عمارة : انما انتظرت أن تقول ومولاي فأنفض والله يدي من يدك ، فضحك المهدي

زمن البرامكة — يضرب لكل شيء حسن كما قال الجماز

أتينا بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفاة

وقد أكثر الناس في وصفهم وأيامهم ، قال صالح بن ظريف

يابني برمك واهالكم ولأيامكم المقتبله
كانت الدنيا عروساً لكم وهي اليوم ثكول أرمله .

وقال آخر

ولّى عن الدنيا بنو برمك ولو تولى الخلق مافادا
كأنما أيامهم كلها كانت لاهل الارض أعيادا

ومن ضرب المثل بذلك بعض أهل العصر في قوله لمولانا الملك المؤيد خوارزم شاه

Digitized by Google

رعى الله مأمون بن مأمون الذي رعاياه منه في زمان البرامك
ولا برحت أيامه بفعاله وانعامه المشهور غرّ المضاحك

جود الفضل — هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وذكره أشهر وأسير من أن ينبه عليه. وكان يقال له حاتم الاسلام وحاتم الاجواد، ويقال حدث عن البحر ولاحرج وعن الفضل ولاحرج، وفيه يقول الشاعر

مارأينا كجود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

ويقول يزيد بن خالد المعروف بابن حسبات

ألم تر ان الجود من صلب آدم تحدر حتى صار في راحة الفضل
اذا ماأبو العباس جادت سماؤه فيالك من طل ويالك من وبل

ويقول أبو نواس ماهو أمدح شعر للمحدثين

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته اذا الزمان على أنيابه كلحا
وكلت بالدهر عيناً غير غافلة بجود كفك تأسوا كلما جرحا

بلاغة جعفر — كان يقال: مارأى الناس مثل ابني يحيى، الفضل في سماحته وجعفر في بلاغته. قال الجاحظ قال ثمامة: كان جعفر أبلغ الناس لساناً و بياناً قد جمع الهود (١) والجزالة والحلاوة وافهام يغني عن الاعادة ولوكان في الارض ناطق يستغني من الاشارة لاستغنى جعفر عنها كما استغنى عن الاعادة ومارأيت أحدا لاينحبس ولايتوقف ولا يتلجلج ولايرقب لفظاً قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعاصى عليه بعد طلبه اياه الاجعفر بن يحيى

عام بن عمار هذا احمد بن عمار بن شادى الساكني البصرى وزير

(١) الهود والتهويد الرويد والتمهل وفي الحديث — اسرعوا المشي في الجنازة ولاتهودوا كتهود اليهود والنصارى (٢) الازمة جمع زمام المقود وهنا رئاسة الاعمال

Digitized by Google

المعتصم. كان من علية الناس فلما عزله المعتصم عن وزارته أمر بان يولى الازمة(٢) على الدواوين فاستعفى وقال: اني نويت أن اجاور مكة سنة، فوصله المعتصم بعشرة آلاف دينار ودفع اليه عشرين الف دينار ليفرقها بالحرمين على من يرى تفريقها عليهم ولا يعطي الاهاشمياً أو قرشياً أو انصارياً، فقال يا أمير المؤمنين ربما كان من غيرهم من لهم التقدم في الزهد والعلم فان منعته استذممت عليه؟ فقال هذه خمسة آلاف دينار لهؤلاء الذين ذكرتهم. فحج بن عمار وفرق المال كله مع العشرة آلاف التي له وجاور سنة ثم انصرف، فكان الناس يضربون به المثل ويقولون ما رأينا مثل عام بن عمار. قال مؤلف الكتاب ويضربون المثل في زماننا هذا بعام جميلة، وهي الموصلية بنت ناصر الدولة ابي محمد بن حمدان اخت أبي تغلب، فانها حجت سنة ست وستين وثلثماية وأبانت من المروءة وفرقت من الاموال وأظهرت من المحاسن ونشرت من المكارم مالا يوصف بعضه عن زبيدة وعن غيرها ممن حجت من بنات الخلفاء والملوك. وأخبرني الثقاة انها سقت جميع أهل الموسم السويق(١) بالسكر والطبرزد والبلح. وكانت استصحبت البقول المزروعة في مراكن الخزف(٢) على الجمال وأعدت خمسماية راحلة للمنقطعين من رجالة الحج ونثرت للكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثماية عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين بالصلات الجزيلة، فصارت حجتها تاريخاً مذكورا وصارت مثلا مشهورا. ومن قصتها انها لما رجعت الى بلدها وضرب الدهر ضرباته وكان ما كان من استيلاء عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهلها، أفضت بها الحال الى كل قلة وذلة وتكشفت عن فقر مدقع

(١) ما يعمل من الحنطة والشعير (٢) المراكن جمع مركن بالكسر اناء تغسل فيه الثياب

Digitized by Google

وكان عضد الدولة خطبها لنفسه فامتنعت وترفعت عنه ، واحتقدها عليها فحين وقعت في يده تشفى منها ، وما زال يعنف بها في المطالبة بالاموال حتى عرّاها وهتكها ثم ألزمها أحد أمرين اما ان تؤدي بقية ماوقعت عليه من المال ، واما أن تختلف الى دور العمل فتكتسب فيها ماتؤديه في بقية مصادرها ، فانتهزت يوماً فرصة من غفلة الموكلين بها وغرقت نفسها في دجلة رضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها

فالج بن أبي دؤاد — وهو أحمد ابن أبي دؤاد الايادي قاضي قضاة المعتصم والواثق . وكان من الشرف والكرم بالمنزلة العالية المشهورة ، وكان مصروف الهمة الى استعباد الاحرار وغرضا لمدائح الشعراء ، ولما أصابته عين الكمال فلج فصار فالجه مثلا في أدواء الاشراف وعاهاتهم ، كما قيل : لقوة معاوية وفالج ابان بن عثمان ونخر عبد الملك بن مروان وبرص أنس بن مالك وجذام أبي قلابة وعمى حسان وصمم بن سيرين . وكان أهل المدينة يقولون لمن يدعون عليه : أصابه الله بفالج ابان قال أبو هفان وقد نظر الى رجل يضرب غلاماله مليحا

ألا ياضاربا قمر العباد قصدت الحسن ويحك بالفساد
أتضرب مثله بالسوط عشرا ضربت بفالج بن أبي دؤاد

ومرّ تأييده في كتاب الامير رحمه الله المترجم بنزهة اللواحظ من كلام الجاحظ في أدواء الاشراف يليق بهذا المكان وهو من رسالة الى محمد بن عبد الملك في الشكر — نعمتني بتوطيئة المطاعمات حتى أصابني النقرس واتخمتني بأكل الطيبات حتى ضربني الفالج ، ولولاك لكنت أبعد عن النقرس من فيج وأبعد عن الفالج من مكار ، فاين شرف أدوائي من جرب الحسن بن وهب ودود أحمد ابن أبي خالد ، واين ادواء الملوك والانبياء من ادواء السفلة والاغبياء ممن كان

Digitized by Google

داؤه أفضل من صحة غيره وعيبه أجمل من براءة ضده ، وما ظنك بغير ذلك من أمره

ضرطة وهب — هو وهب بن سليمان بن وهب بن سعيد صاحب بريد الحضرة ، أفلتت منه ضرطة في مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو غاصّ باهله فطار خبرها بالافاق ووقع في ألسن الشعراء وصارت مثلا في الشهرة حتى قالوا: أشهر من ضرطة وهب ، وأفضح من ضرطة وهب . وعمل أحمد بن أبي طاهر كتاباً في ذكرها والاعتذار عنها بعد كلام كثير قيل فيها كقول ابن الرومي

مالقينا من ظرف ضرطة وهب ... تركت أهل دهرنا شعراء
هي عندي لجود فضل بن يحيى ... غير أن ليس تنعش الفقراء

—

ياوهب ذا الضرطة لاتبتئس ... فان للأستاه أنفاسا
واضرط لنا أخرى بلا كلفة ... كأنما مزقت قرطاسا

—

يا آل وهب حدثوني عنكم ... لم لاترون العدل والاقساطا
ما بال ضرطتكم يحل رباطها ... عفوا ودرهمكم يشد رباطا
صرّوا ضراطكم المندر صرّكم ... عند السؤال الفلس والقيراطا
أو فاسمحوا بنوالكم وضراطكم ... هيهات لستم للنوال نشاطا
لو جدتم بهما معاً لوجدتم ... فرشا لكم عند الرجال بساطا
لكنكم أفرطتم في واحد ... وهو الضراط فعدّلوا الافراطا

وقول أبي علي البصير

قل لوهب البغيض ياوحش الخلـ ... ـقة ياناطقا بغير لسان
كانت الضرطة المشومة نارا ... أضرمت في جوانب البلدان
أخبت النفوس وكانت لعمري ... عدة في الحروب للسلطان

Digitized by Google

وقول عيسى بن القاشاني

أفيك من حر حزيران ... بالابعد الاقصى و بالداني
كأنك بيت صديق لنا ... منزله والحبس سيان
نبيذه حلو وريحانه ... أتى له في السوق شهران
وقينة شمطاء مضمومة ... في سن نمرود بن كنعان
اذا تغنينا حكى صوتها ... ضرطة وهب بن سليمان

وقال أحمد بن يحيى البلادري

ليت طبول العيد تحكي لنا ... ضرطة وهب بن سليمان
فانها كانت تروع العدا ... ما بين مصر وخراسان
ياضرطة لو أنها شرقت ... أودت بصنعا وسجستان

وقال آخر

أياوهب لاتجزع لافلات ضرطة ... نعاها عليك العائبون وأفرطوا
ولا تعتذر منها وان جل أمرها ... فقد يغلط الحر الكريم فيضرط

قال آخر

لقد قال وهب اذ رأى الناس أشرفوا ... لضرطته قول امرئ غير ذي جهل
أيا عجبا للناس يستشرفونني ... كأن لم يروا بعدي ضروطا ولا قبلي

وقال آخر

ان وهب بن سليما ... ن بن وهب بن سعيد
حمل الضرطة للر ... يّ على ظهر البريد
استه ينطق يوم الحف ... ل بالقول الرشيد
لم يجد في القول فاحتا ... ج الى دبر مجيد

Digitized by Google

وقال آخر

ومن الحوادث ان وهبا خانه ... للحين والقدر المتاح حزار
فغدا وضرطته شنار شائع ... شغلت بها عن غيرها الاشعار
ومن البلية انها بشهادة القـ ... ـاضي فليس يزيلها الانكار

وقال أحمد بن أبي طاهر

ياوهب ان ناقة ... أظمأتها فوردت
ونفرت شاردة ... فابرقت وأرعدت
لو كنت لما وردت ... عقلتها ما شردت

وقال بن بسام

سأذكر عن بني وهب أمورا ... وليس الغمر كالرجل الخبير
واخلاق البغال اذا استميحوا ... وضرط في المجالس كالحمير
وجوه لاتهش الى المعالي ... واستاه تهش الى الايور

وجرى بين وهب و بين ابن أبي عون كلام في مجلس عبيد الله بن طاهر فتعدى وهب على ابن أبي عون، فقال له علي ابن أبي يحيى وكان في المجلس واحتمى لابن أبي عون: كم هذا التوثب في مجالس الامراء والضراط في مجالس الوزراء ؟ ويحكى انه ماسمعت للهدي مزحة سوى قوله لسليمان بن وهب — وكان في رجله خف واسع يصوت — ياسليمان خفك هذا ضراط، فقال: يا أمير المؤمنين ضرطة خير من ضغطة .

خط بن مقلة — يضرب مثلا في الحسن لانه أحسن خطوط الدنيا . وما رأي الراؤون بل مار وي الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السحر، وقال الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد

Digitized by Google

خط الوزير ابن مقله بستان قلب ومقله

وقال مؤلف الكتاب

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته ودّت جوارحه لوخولت مقلا

فالدر يصفرّ لاستحسانه حسدا والبدر يحمرّ من أنواره خجلا

وقال أيضاً

سقى الله عيشاً مضى وانقضى بلا رجعة ارتجيها ونقله

كوجه الحبيب وقلب الاديب وشعر الوليد بخط ابن مقله

وكان ابن مقلة وهو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه فهو الى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الاعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه. ومن خبر ابن مقلة هذا انه استوزر لثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي وتنقلت به أحوال ومحن أدت الى قطع يده، ومن نكد الدهر ان مثل تلك اليد النفيسة تقطع. قال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة أمرني الراضي بالله بالدخول الى ابن مقلة آخر اليوم الذي قطعت فيه يده، فدخلت اليه فعالجته وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين فعرفته خبر سلامته، فسكن الى ذلك غاية السكون، ثم ناح على نفسه وبكى على يده وقال: يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات، وكتبت بها القرآن دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص؟ أتذكر وأنت تقول لي انك في آخر نكبة والفرج قريب؟ قلت بلى، قال فقد ترى ما حل بي؟ فقلت ما بقي بعد هذا شيء والآن ينبغي ان تتوقع الفرج فانه عمل بك مالم يعمل بنظيرك وهذا انتهاء المكروه ولا يكون بعد الانتهاء الا الانحطاط، فقال لاتغفل: ان المحنة قد تشبثت بي تشبثا تنقلني به من حال الى

Digitized by Google

حال حتى تؤديني الى التلف كما تشبث حمى الدق بالاعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه الى الموت، ثم تمثل بهذا البيت وهو لابي يعقوب الخريمي

اذا مامات بعضك فابك بعضاً فبعض الشيء من بعض قريب

فكان الامر على ماقال، فلما قرب اتيان امره من بغداد نقل ابن مقلة من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه فلم يوقف على خبره وحجبت عنه ثم قطع لسانه وبقي في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب (١) ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه حتى بلغني انه كان يستقي الماء بيده اليسرى وفمه، ولحقه شقاء شديد الى ان مات ودفن في دار السلطان. ثم سأل أهله بعد مدة تسليمه اليهم فنبش وسلم اليهم فدفنه ابنه أبو الحسين في داره ثم نبشته حرته المعروفة بالدنيارية ودفنته في دارها بقصر أم حبيب. قال ومن عجائبه انه كان يراسل الراضي بالله من الحبس بعد قطع يده وقبل ان يقطع لسانه و يطمعه في المال الذي وعد تصحيحه له، و يقول: ان قطع يده ليس مما يمنعه ان يستوزره لانه يمكنه ان يوقع بحيلة يحتال بها أو يعمل بيده اليسرى ولقد كانت تخرج من عنده له رقاع بعد قطع يده الى ابنه ابي الحسين وقبل ان يضيق عليه، و يذكر ابنه انها كانت بخط جيد من خطه وانه كان يكتب بيده اليسرى أو يسند القلم على ساعد يده اليمنى فيكتب به. ومن عجائبه انه تقلد الوزارة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمرة ثلاث سفرات اثنين في النفي الى شيراز وواحدة الى الموصل ودفن بعد موته ثلاث مرات

مروءة ابن الفرات — هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، استوزر للمقتدر ثلاث مرات وكان يضرب بمروءته المثل. فمما يذكر منها انه كان كلما تقلد الوزارة يزيد سعر القراطيس والشمع والثلج والخيش زيادة وافرة

(١) ذرب أي فسدت معدته

Digitized by Google

وكان ذلك متعارفا عند التجار . وكانت في داره حجرة شراب يوجه الناس من الكتاب والقواد غلمانهم من المواضع البعيدة ليأخذوا لهم منها ما يريدون من السكنجبين والجلاب والفقاع(١)والثلج وغيرها . وكان رسم داره ان يصحب كل من يخرج منها عند غروب الشمس شمعتين ولا يسترجعانهما خدمه. قال الصولي وحدثني جماعة من أهل داره: انه لما استوزر في الكرة الثانية وخلع عليه وكان الزمان صيفا سقى الناس في داره يوم ذلك وليلته أربعين الف رطل من الثلج ولما قبض عليه بعد وزارته الاولى نظر فاذا هو يجري على خمسة آلاف من الناس أقل جاري أحدهم خمسة دراهم في الشهر ونصف قفيز (٢) دقيق الى عشرة أقفزة ومائة دينار وما بين ذلك. ومن خبر عاقبة أمره فيما ذكر ثابت بن سنان انه أسلم في دولتيه الاولبين جميعا فسلم الناس منه وشملهم احسانه ولم يتعرض للنعم ولا للنفوس واجتمع الناس على محبته والاغتمام لمحنته واجتهدوا في خلاصه وعود أيامه وصلاح الدنيا على يده ،فلما ساعد ابنه الحسن في دولته الثالثة على ماالختار من التشفي من أعدائه والسرف في القتل وازالة النعم وادخال الرعب سائر القلوب ولم يظهر منه انكار لذلك ،لحقه من العقوبات في الدنيا الى ان بلغ الآخرة ما لم يلحق أحدا من نظرائه، فانه نصب بين النيازين وضرب بالفؤس وكان خاتمة أمره ان ضربت عنق ابنه بحضرته، ثم ضربت عنقه بعد ان أزيلت نعمته وتعفى أمره ولم تبق منه باقية

(١) الفقاع شراب معروف (٢) القفيز مكيال

Digitized by Google